محمد رفعت
المحامى



القاهرة
مطبعة دار الكتاب العربي
١٩٥٢

اهداءات ٢٠٠٢

السيدة / سامية بشرى توفيق

الإهداء

إلى سعادة الدكتور محمد صلاح الدين باشا . . .

تقدير . . ووفاء . . وذكرى . . .

محمد رفعت

مارس ١٩٥٢

في الطريق إلى باريس :

جنيف .. تأديب .. وتهذيب .. وإصلاح ؟!

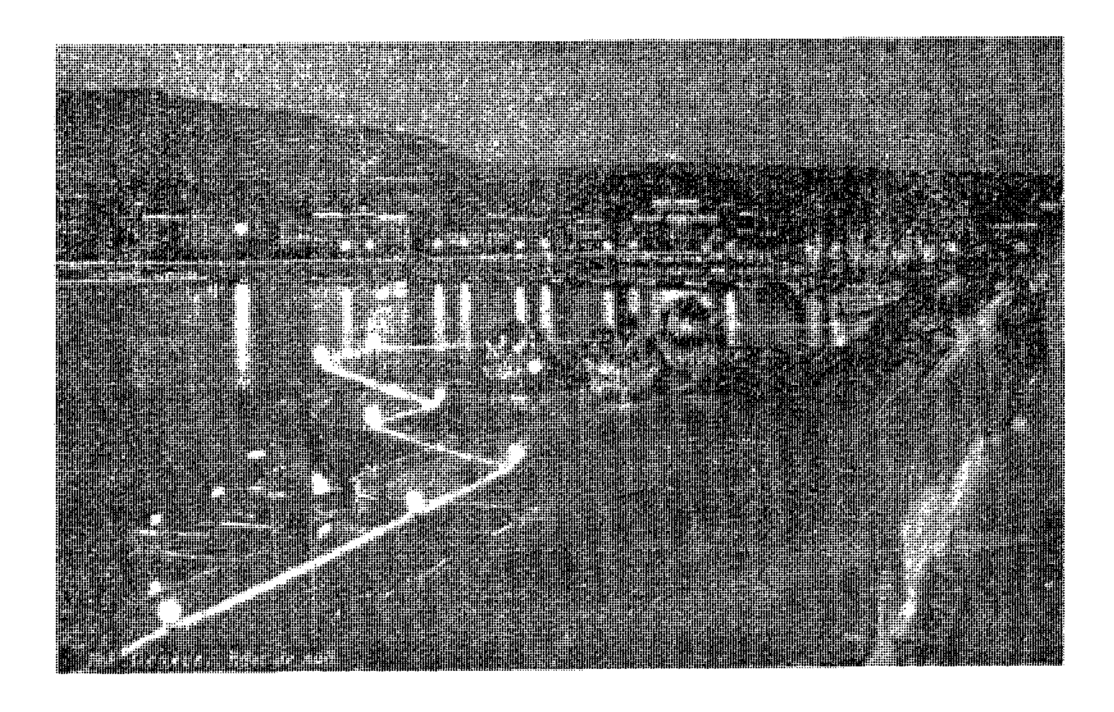
جمال الطبيعة السويسرية في جنيف .. جمالها في أي مدينة من مدن سويسرا .. ونظافة شوارعها وأناقة وجمال مبانيها وبيوتها .. وعظمة فنادقها وتفوق الخدمة فيها .. كل هذه أمور مفروغ من الحديث فيها عندنا في مصر .. لذلك سأقصر حديثي في هذا المقال عن الأشياء التي لم تذكر عندنا بعد ، والتي رأيتها أو سمعتها خلال أيام إقامتي في جنيف في طريقي إلى باريس لأشهد اجتماعات هيئة الأمم المتحدة .. جنة الله في أرضه التي تعيش في خير وافر مقيم وفي أمن وسلام دائم ..

إن جنيف بلد مضيافة .. وطالما آوت ملوك مخلوعين أو منفيين .. وآخر هؤلاء الملوك « ليوبولد الثالث » ملك بلجيكا السابق .. وقصره الصغير المطل على بحيرة ليمان عش صغير شاعري جميل يستأهل التضحية بعرشه .. وقد سبقه في الإقامة هناك بقرون وأجيال أمير ألماني اسمه برونزويك .. أقام في قصر صغير على ضفاف البحيرة في مواجهة جبال « مونت بلان » .. وشاء أن يدفن حيث أقام فابتنى لنفسه مقبرة وانفرد في بنائها بشذوذ لعله الأول والأخير من نوعه .. جعل تابوته معلقا في أعلى المقبرة على إرتفاع حوالي ٢٠ مترا وعلل هذا برغبته في أن يطل في مماته على البحيرة والجبل كما كان يطل في حياته .. ومع ذلك فقد أخطأ اللحادون عندما مات فوضعوا رأسه خطأ بحيث لا يتجه بصره إلا للاتجاه العكسي للبحيرة والجبل .. إلى بيوت المدينة .. ومقبرة برونزويك من أروع آثار جنيف التي تشهدها في « أفنيو مونت بلان » على شاطىء بحيرة ليمان .. وقد كلف بناؤه صاحبه ٢٠ مليون فرنك سويسري أي حوالي ٢ مليون جنيه مصري .

وفى جزيرة صغيرة تتوسط بحيرة ليمان كان يحلو لجان جاك روسو شاعر فرنسا الأكبر أن يقضى أويقات الوحى والخيال . . ولم تنس له جنيف هذا الإيثار فأقامت له تمثالا فى نفس المكان الذى اعتاد الجلوس فيه وبنفس الهيئة التى كان يجلس فيها وأوراقه وقلمه بين يديه وكتبه تحت مقعده . . وكأنما شاءت الطبيعة السويسرية السخية ألا تفرد جان جاك روسو بالوحدة والعزلة فى جزيرته الصغيرة فأرسلت إليه أسرابا من الحمام البرى الجميل تعيش حوله وتستقبل معه زائريه وضيوفه .

وتستطيع أية سيدة أو فتاة أن تسير فى طرقات جنيف فى أية ساعة من ساعات النهار أو الليل دون أن تتعرض لمضايقة أو معاكسة أو « بصبصة » من المارة . . ولا ترى فى الشوارع أحدا يتسكع أبداً .. الكل يسرع فى طريقه إلى عمله أو بيته لا يلتفت يمنة ولا يساراً ولا يقف عند « فترينة » وأغلبهم يركبون الدراجات .. وجنيف هى أول مدينة فى العالم فى إستعمال الدراجات فعدد سكانها ١٦٠،٠٠٠ يركب ٩٠،٠٠٠ منهم الدراجات ، وترى بحذاء الأرصفة فى كل شارع حفر مستطيلة فى الأرض متجاورة معدة لتغوص فيها عجلة الدراجة الأمامية فترتكز فى وقوفها .. وقد تدخل المحل التجارى فلا ترى صاحبه وإنما تجد إناء به قطع النقد فتختار ما تحب شراءه وتقرأ ثمنه عليه ثم تضعه فى إناء النقود وتخرج .. ولا ترى فى الشوارع عسكرى بوليس .. فقط عساكر المرور غير مسلحين بأى سلاح .. والسلاح لا تراه أبدا فى جنيف .. وقلما يستقبل سجن جنيف فى شارع شودرنييه ضيفا .. ويسمونه هناك « أرخص فندق فى المدينة » وقد استضاف موسولينى فى سنة ١٩٢١ ستة أسابيع قبيل الانقلاب الإيطالى الذى تزعمه ..

ويعتز أهالى جنيف بذكرى عاهلهم المصلح « كالفن » .. وليس عندهم من آثاره سوى كرسى خشبى .. عادى غير مريح .. فى كاتدرائية سان بيير كان يجلس فيه منذ أكثر من ٤٠٠ سنة فى هذه الكاتدرائية .. ويعتزون بأنه رفض أن



جنيف — . غارقة فى أضواء الليل . .

يدفن فى هذه الكاتدرائية وأوصى بدفنه فى مقابر الشعب .. فدفن فى مقبرة مجهولة إلى اليوم بين مقابر الشعب الذى أقام تاريخه ونهضته ..

وكنت أسير مع صديق سويسرى فى أنحاء جنيف عندما وصلنا إلى ميدان الأوبرا ورأيت وسط الميدان تمثالا لرجل عسكرى فسألت صاحبى عنه فأجاب :

— هذا تمثال « الجنرال دوفور »

وسكت ثم ابتسم وعاد يقول :

— ليس فى تاريخنا جنرالات كثيرين .. هذا الجنرال فقط .. والجنرال جيز الذى عرفتموه خلال الحرب الأخيرة .. ثم خلع رداء العسكرى وسيفه بمجرد أن انتهت الحرب ..

وكنت قد قابلت الجنرال جيز فى أسوان فى الشتاء منذ عامين مضيا .. وقال لى فى حديثه معى :

— لقد جئت إلى هنا لينسانى قومى فترة من الزمن ثم أعود وقد نسونى .. لأنهم لا يحبون العسكريين أبداً .

ودعانى هذا الصديق إلى بيته . . شقة فى عمارة كبيرة مؤلفة من غرفتين صغيرتين . . وخطر لى أن أسأله عن إيجارها فقال لى :

— ٢٤٠ فرنك فى الشهر . .

وفغرت فاهى دهشة وعجبا . . غرفتين صغيرتين بمائتين وأربعين فرنكا فى الشهر . . أى ما يعادل ٢٤ جنيها مصرياً . . واستطرد صديق يقول :

— إنها رخيصة جداً بالنسبة لغيرها هنا . . ثلاثة غرف بمائتين وأربعين فرنكا فى الشهر . .

— ثلاثة غرف ؟ . . انها إثنتين فقط ؟ !

— هنا يعتبرون المطبخ غرفة أيضا . .

ألا فلنحمد الله فى بلادنا ولنغفر كثيراً لأزمة المساكن عندنا . .

وكل شيء غال فى جنيف . . قد يبلغ ضعف أو ثلاثة أضعاف ثمنه عندنا أحيانا . . لا شيء رخيص سوى الساعات والجوارب النايلون . . وهى لا تشبع جوعا ولا تدفىء جســـدا . . وترى الفحم معروضاً عرضاً جميلا فى أطباق فى الفترينات . . وكذلك الطيور حية . . كما ترى السمك يباع حياً فى أحواض من الماء تنتقى منها ما تشاء من أنواعه . . .

وقد أقام الروس لهم كنيسة فخمة هناك فى « ميدان ديزوفيف » وشاءوا أن يميزوها عن جميع كنائس المدينة فغطوا قبابها بصحائف من الذهب تلمع وتضوى ليلا ونهارا . ويشير إليها السويسريون ساخرين ويقولون :

— هذا خير شاهد على قيصرية شيوعية ستالين .

وتضحك سويسرا كلها اليوم على غلطة فاحشة ارتكبتها السكة الحديد . . بدأت منذ سنوات عند ما بنت « قنطرة بونت بوتان » على نهر الآر لتعبرها القطارات . . فلما أتمت بناءها وسار عليها أول قطار انهارت به . . فأسرعوا إلى بناء غيرها أشــد متانة وصلابة ولما تم بناؤها قالوا أنها بعيدة عن طريق السكة الحديد الرئيسى وأنه ينبغى بناؤها على بعد ٣٠٠ متر قبلها .. وتركوها وأخذوا يبنون قنطرة جديدة فى المكان الذى ارتأوه أصلح لإقامتها .. إن أخطاء الروتين الحكومى عندنا لتنحني تواضعا وتتوارى خجلا أمام خطأ الروتين السويسرى هذا ..

وشارع المشتروات فى جنيف .. المقابل لشارع فؤاد عندنا .. يمتد بعرض المدينة ويشذ بالتسمى بعدة أسماء .. فيغير اسمه بين مرحلة وأخرى .. من « شارع الكونفيدراسيون » إلى « شارع مارشيه » وهكذا .. ومحلاتهم تغلق منذ السابعة مساء فلا تبق إلا الملاهى والمطاعم ومحلات بيع السجائر .. وتنام المدينة كلها مبكرة لتستيقظ مبكرة .. فلا تستطيع فيها إن لم تغش ملهى من الملاهى إلا أن تشارك أهلها نومهم المبكر ..

ألا ترى معى أن جنيف حقاً تأديب .. وتهذيب .. وإصلاح .

هنا .. ترقد عصبة الأمم

كان أول ما سألت عنه عند وصولى إلى جنيف . . عصبة الأمم الفقيدة . . غصن الزيتون الذى انكسر فى سنة ١٩٣٩ . وكان أنضر خضرة وأصلب عوداً من غصن هيئة الأمم المتحدة الحالية . . سألت عنها مدير الفندق السويسرى فقال لى:

— هناك فتاة مصرية تعمل فى الاذاعة التابعة للأمم المتحدة تستطيع أن ترشدك إلى زيارة عصبة الأمم ... سأتصل بها لتجىء إليك ...

واتصل بها ... وجاءتنى مسرعة فى سيارتها الرينو الصغيرة التى تكابر بها السيارات الضخمة الكبيرة فى صعود جبال جورا أو جبال مونت بلان القائمة بين أحضانها جنيف ، دون أن ترحم طفولة هذه السيارة ورقة أعطافها ... وكانت الفتاة « ليلى دوس » ابنـة المغفور له حبيب بك دوس شقيق المرحوم توفيق باشا دوس ... بدأت حياتها العملية مذيعة فى إذاعة مصر سنتين ثم اشتغلت فى اذاعة هيئة الأمم المتحدة فى ليك سكس ثلاث سنوات ثم انتقلت إلى جنيف منذ أكثر من عامين ... وفى العام الماضى شهدت مأساة مفجعة لم تفق منها حتى اليوم ... كانت السيدة والدتها قد أبرقت لها من القاهرة تنبئها بأنها قادمة إليها لتراها بعد فراق طويل ولتقيم معها بضعة أسابيع ... فتلقت الخبر فى سرور وهناء وأقبلت تستعد للقاء أمها الحبيبة ... حجزت لها جناحاً بفندق ... وطهت لها طعام العشاء بيدها ... وذهبت لتستقبلها فى المطار ... وتأخرت الطائرة ... وتأخرت طويلا حتى تجاوز موعد وصولها ١٢ ساعة كاملة وليلى دوس واقفة تنتظر مع غيرها ... وكلما سألوا موظفى شركة الطيران التى تتبعها الطائرة أجابوا :

— لا خبر ...

وأخيراً جاء الخبر ... كانت الطائرة هى طائرة الـ T.W.A التى احترقت فى سماء مصر فى الصيف الماضى ... وكانت والدة ليلى دوس بين ضحاياها ...

إن قصة هذه المأساة ما زالت مسطورة على جبين ليلى وصورها ما زالت تنعكس من عينيها .

وكان استقبالا حافلاً طيباً متوقع دائما من واحد من بيت دوس ... ولما أبديت لليلى رغبتى فى زيارة عصبة الأمم قالت لى :

— المرحومة ؟ ! . لعلك تنشد العظة والاعتبار وأنت فى طريقك لهيئة الأمم فى باريس ؟ !

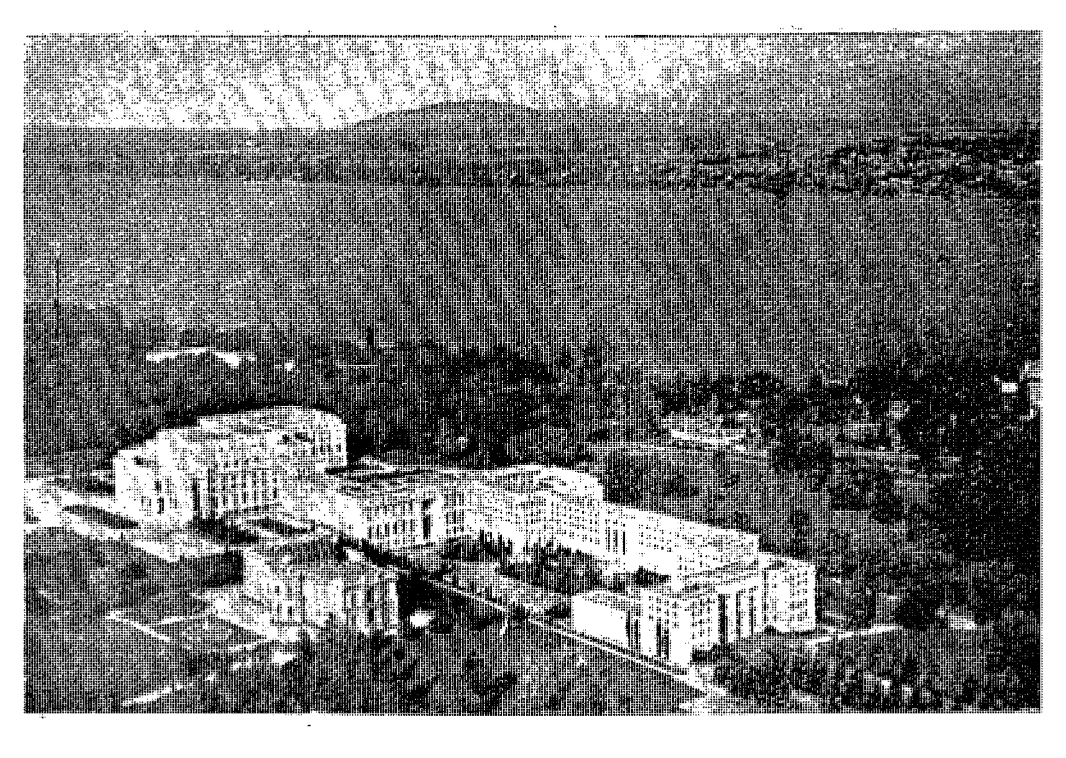
— أولى بهما أعضاء وفود الدول الرسمية الذين ذهبوا إلى باريس ... إلى مائدة الثرثرة والكلام ... وحلبة المصارعة فى سبيل المطامع والغنائم .

وذهبنا إلى عصبة الأمم فى جنيف ... أو « قصر الأمم Palais des Nations كما يسميه أهل جنيف ... سلكنا إليه شارعا طويلا اسمه « شارع السلام Avenue de la Paix » ثم أقبلنا على رقعة فسيحة من المروج الخضراء الهابطة من سفح جبال جورا المكللة هاماتها بالثلوج ... وفى وسط هذه المروج الجميلة الرائعة التى يسودها سلام وهدوء تستمع فيهما إلى دقات قلبك وجدت قصر الأمم ... وعلى باب القصر الكبير لقينا رجلا مشرف على أبواب الشيخوخة وأشارت إليه ليلى وقالت :

— لحسن حظك أن هذا الرجل هنا ... إنه المسيو إيجر Eigert كبير الحراس هنا .. وأقدم موظف فى قصر الأمم ... لقد شهد مولد عصبة الأمم وعاصر حياتها القصيرة ... وسيكون خير دليل لك فى جولتك فى القصر .

وتعرفت إلى الرجل ... وقال لى فى حديثه :

— لعلنى الرجل الوحيد الذى بقى هنا ... بقيت وفياً للعصبة التى تنكر لها السادة ساسة العالم كلهم ... لقد كنت مؤمنا بالفكرة إيمان أى إنسان من شعوب العالم المكوية بنار الحروب المنكوبة من ويلاتها ... كنت مؤمنا بهذه الفكرة يوم أقيمت عصبة الأمم وعملت فيها ... حارسا لتلك الفكرة ... وإنى



عصبة الأمم .. المرحومة ..

ما زلت على إيمانى بها ... وإنى لسعيد أن أبقى عمرى حارسا لها ... حتى ولو كانت دفينة القبر الذى نقف الآن على بابه .

وكانت عيناه تدمعان ... ورأت ليلى فى عينى دهشة وعجب لحديثه ومنطقه فى الحديث فهمست فى أذنى قائلة :

— لا تعجب ... فهو يحمل دكتوراه التاريخ من جامعة جنيف .

ودعانى إيجر للتجول معه فى قصر الأمم ... أو مقبرة عصبة الأمم كما ينبغى أن نسميها ... وقال لى :

— إن القصر وملحقاته مقام على أرض مساحتها ٨٠ فدانا ... وكانت هذه الأرض فى الأصل حديقة عامة اسمها « أريانا Ariana » .

وأشار إلى قصر صغير مبنى على طراز قصر فرساى فى باريس ومبنى على مرتفع يشرف على قصر الأمم وقال لى :

— أترى هذا القصر ... إنه يسمى أيضا « قصر أريانا » ... وهو الآن متحف عام ... وكان القصر والحديقة لرجل ثرى جدا من أهل جنيف اسمه « جوستاف رفيو Juatave Revilliod » ... وقد أهدى الحديقة للمدينة فى حياته ، وورثت عنه القصر بعد مماته لأنه لم يعقب ورثة إذ لم يتزوج ونذر حياته لممارسة الأدب والفن ... ولقد عمر إلى المائة .

ومال إيجر على أذنى يهمس حتى لا تسمع ليلى :

— ولعل السبب فى طول عمره أنه لم يتزوج ؟ !

ومضينا فى جولتنا .

***

كان مولد « عصبة الأمم » عقب انتهاء الحرب العظمى الأولى . . ولدت فى سنة ١٩٢٠ ، كما ولدت شقيقتها « هيئة الأمم المتحدة » عقب انتهاء الحرب العالمية

الثانية . . واختيرت جنيف مقراً لها . وكان اختياراً طبيعياً مناسبا ؛ بلاد السلام الدائم وجنة الله فى أرضه « سويسرا » خير مكان لأداة السلام . . ولم يجدوا لها مكاناً سـوى « فندق كبير » يطل على بحيرة ليمان . . . وما زال قائماً إلى اليوم ويعرف باسم « قصر ويلسون » .

ومرت ستة أعوام ورأت عصبة الأمم الفندق الكبير يضيق بوفودها ولجانها ومنظماتها فقررت إقامة بناء ضخم كبير يتسع لها . . وعهدت إلى لجنة خاصة من أعضاء الأمم المشتركة فيها بإعداد العدة للبناء الجديد . . ولم تشذ هذه اللجنة عن أى لجنة دولية فى التسويف والمماطلة . . فلم تنته من إعداد المشروع إلا فى سنة ١٩٢٩ . . أى بعد ثلاث سنوات . . وبدأت أعمال البناء فى سـنة ١٩٢٩ وانتهت فى سنة ١٩٣٦ . . وفى سنة ١٩٣٩ قامت الحرب العالمية الثانية . فكأن عصبة الأمم لم تعش فى قصرها الجديد إلا ثلاث سنوات فقط .

واشترك فى الأعمال الفنية والبناء فنيون وعمال من جميع أمم العالم المشتركة فى العصبة . وتكلف البناء وحده ٢٤٫٦٣٠٫٠٠٠ فرنك سويسرى أى ما يعادل ٢٫٤٦٣٫٠٠٠ جنيه مصرى . وهذا المبلغ للبناء فقط ، لأن الزخارف والأثاثات كلها كانت هدايا من دول العصبة . هذا عدا الملحق الكبير الذى يضم المكتبة والمتحف فقد تبرع بنفقات بنائه « روكفلر » . . وبلغت هذه النفقات ٤٫٢٤٠٫٠٠٠ فرنك سويسرى أى ما يعادل ٤٢٤٫٠٠٠ جنيه مصرى .

وطالت جولتنا فى قصر الأمم .. قصر التيه الذى يضم ٤٠٠ غرفة غير قاعات الاجتماعات .. والمقام على مساحة من حديقة أريانا تبلغ ٤٦٠٫٠٠٠ متر مربع . وصعدنا فى مصاعده الكبيرة السريعة .. ٢٧ مصعدا .. منها ٦ للأحمال .. و ٧ للرسائل والخطابات .. ورأينا السلالم الخمسين المحيطة بالمصاعد وقد صنعت درجاتها من الرخام المهدى من مختلف دول العصبة المشهورة بالرخام .. وأطللنا من بعض نوافذه التى يصل عددها إلى ١٦٥٠ نافذة تطل على جبال وثلوج ومراعى ومفاتن جنيف الفاتنة فى صور رائعة تنزع كل شر وحقد من صدر الشيطان نفسه وتوحى

إليه بكل أمن وسلام .. ولـكن الشيطان على ما يظهر تلميذ خامل ضعيف لساسة العالم الدهاة العتاة . ومرقنا من باب إلى آخر من أبواب القصر البالغ عددها ١٧٠٠ باب .. وكل باب منها تحفة من تحف الصناعة والزخرفة وآية صنع الفنانين والصناع فى بلد من بلاد العالم .. والبناء كله عبارة عن طائر يضم جسده قاعة الاجتماع الـكبرى وطولها ٢٢٥ قدما وعرضها ٢٠٤ قدما وارتفاعها ١٢٠ قدما . أما الجناحان ويمتد طولهما إلى ٣٠٠ قدم فيضمان السكرتارية واللجان .. وكل الغرف تطل على الحديقة الغناء الـكبيرة .

وقاعة الجمعية العامة الـكبرى آية من آيات الصناعة والزخرفة .. تضم ١٥٠٠ مقعد كلها مصنوعة من خشب رقيق لطيف ومجهزة بالقطيفة المخملية الزرقاء . وحتى المماشى مفروشة بهـذه القطيفة حتى لتشفق عليها من السير بقدميك ولوحافيتين . وفى صدر هذه القاعة ٧ مقاصير للاسلكى والتصوير . وللقاعة أربعة أبواب رئيسية يعـلو كل منها لوحة فنية رائعة .. كل منها يمثل صورة من صور حياة السـلام .. النصر ، والعـلم ، والفن ، والأمومة .. وهى هدية من فرنسا ومن رسم أربعة فنانين فرنسيين أفذاذ معاصرين روسـل ، وموريس دنيس ، وفوليارد ، وروجيه كاستل .

ولـكن آية الفن ليست فى القاعة الـكبرى .. بل فى القاعة الصغيرة التى تجتمع فيها اللجان الـكبيرة التى تبلغ مساحتها ٢٩١٦ مترامربعاً وارتفاعها ٢٧ قدماً وبها ٢٠ مقعداً للاعضاء و ١٥٠ للسكرتارية والخبراء و ١٥٠ أخرى للصحفيين و ١٤٠ للمتفرجين .. ففى هذه القاعة على الحوائط وعلى السقف لوحات مرسومة بالبرونز والذهب رسمها الفنان الاسبانى جوزيه ماريا سيرت وقدمت كهدية من الحـكومةالاسبانية.. وكلها رسوم رمزية ترمز فى قوة وجمال وروعة إلى معنى.. فالقوة يرمز لها رسم خمسة رجال يرفعون ثقلا ثقيلا جداً بأيديهم كرجل واحد . والسـلام ترمز له صورة خمسة رجال من أجناس العالم الخمسة ممسكين بسلاح ومتأهبين لـكسره .. والقانون يرمز له رسم رجل عبقرى يجمع قوانين العالم

كلها في مجلد واحد .. وعلى السقف صورة خمسة رجال يمثلون قارات العالم الخمسة وقد وضعوا أكفهم في أكف بعض متضامنين متحدين وتحت هذه الصورة عقلاء سلامنكا المشهورين وحولهم تلاميذهم .. وهذه الصورة ترمز إلى أنه في القرن السادس عشر كانت مبادىء القانون الدولي الأولية تدرس في جامعة سلامنكا المشهورة . وهذه الرسوم كلها تضيء وتبرق كالذهب وتبدو كما لو كانت بارزة ناطقة بفكرتها ورمزها .

وطفنا بعد ذلك بقاعات اللجان الفرعية .. وفي كل منها أثر فني بارز خالد مهدى من دول العصبة ومن صنع أعظم فنانيها العباقرة .. وفي القاعة رقم ٦ وتسمى القاعة السويسرية توقفنا طويلا عند رسم كبير بعرض الحائط بريشة الفنان السويسرى هوجين عن ضحايا الحرب يمثل عسكرى شهيد مسجى على الأرض وحوله أهله يبكونه .. وعجبت في نفسى كيف لم يعتبر ساسة الدول بهذه اللوحة وبغيرها من اللوحات ذات المغزى المنتشرة في كل ركن من أركان قصر الأمم وهم يدفعون بالعالم دفعا إلى هوة الحرب العالمية الثانية في سنة ١٩٣٩ .

وانتهى بنا الطواف إلى المكتبة .. هدية روكفلر .. لقد أعدت لتسعة ملايين مجلد .. كلها من هبات الدول .. ولكن ليس بها إلى الآن سوى ٢٥٠,٠٠٠ مجلد .. وفي مدخلها الرئيسى علقت على الحوائط ٦ سجاجيد عليها رسوم رمزية ترمز لتطور الإنسان من حياة الأسرة حتى بلغ حياة الأمم المتحدة . وهذه السجاجيد هدية من الحكومة الامريكية وكانت معروضة في معرض نيويورك الدولى سنة ١٩٣٩ .. وكانت آخر هدية تلقاها قصر الأمم من دولة من دول العصبة قبل أن يصبح قبراً للسلام . .

وكانت خاتمة المطاف المتحف .. رأيت فيه صورة رفعة مصطفى النحاس باشا يصافح مسيو موتا شاكراً له تهنئته بدخول مصر عصبة الأمم لأول مرة سنة ١٩٣٧ في مدخل قصر الأمم .. ورأيت محبرة ضخمة من الأبنوس والعاج

مهداة من الرأس تفرى لعصبة الأمم فى سنة ١٩٤٢ .. ورأيت صورة أغا خان وتحتها هدية للعصبة .. سن فيل .. ورأيت مجموعة من عينات المخدرات وطرق تهريبها مهداة من مصر .. ورأيت تماثيل وصور أبطال عصبة الأمم الذين سعوا للسلام .. بالكلام .. مجرد الكلام .. الذى ضاع مع قصف المدافع والبنادق .. ويلسون صاحب المبادىء الأربعة عشر .. وأرستيد بريان داهية فرنسا .. وتشمبرلن العجوز بطل ميونيخ .. وغيرهم .. وغيرهم ..

ونزلنا إلى الحديقة .. ورأيت وسطها كرة كبيرة من البرونز المذهب تمثل مجموعة الفلك وقال لى « إيجير » :

— هذه هدية مؤسسة ويلسون فى أمريكا لتخليد ذكرى ويلسون نبى السلام الذى هبط على الأرض فى أعقاب الحرب العظمى الأولى .

— وما علاقة مجموعة الفلك بويلسون والسلام .. لأى شىء ترمز ؟ !

— لا أعرف .. ولكن ربما كان الرمز أن نيل السلام محال كنيل نجوم السماء .. هذا تفسيرى ..

وابتسم .. وابتسمت موافقا على تفسيره الرائع ..

وإذ انتهت جولتى بقصر الأمم عجبت كل العجب لمَ تخلت عنه الأمم المتحدة .. ورضيت بمقرها الصغير الحقير مكان معرض نيويورك فى ليك سكسس الذى يحكى « جراجا » كبيراً من جراجات القاهرة .. ولمَ اختارت دونه هذا العام مبنى فى باريس أقامته ملحقا بقصر شايو وأنفقت عليه من حرمال الدول المسكينة المشتركة فيها ١٫٣٠٠٫٠٠٠ جنيه .. ولم يطل عجبى إذ سرعان ما اهتديت إلى الجواب .. إن جنيف أرض حرة محايدة .. والحرية والحياد ليسا من الأجواء التى تلائم الأمم المتحدة الجديدة ..

وكأنما خجلت الأمم المتحدة عند نشأتها من ترك قصر الأمم في جنيف كله خراباً فألقت إليه بفتات من مائدتها ، وجعلت في بعضه .. في بعض غرف قلائل . . مقر مكتب العمل الدولى ومكتب الصحة العالمية والهيئة الاقتصادية لأوربا . . وكلها محدودة الوجود والأثر . .

وخرجت من قصر الأمم . . مقبرة عصبة الأمم . يشيعنى إلى الباب « إيجير » كبير الحراس ، الرجل الوحيد في العالم الذى يعيش وفياً للفكرة المدفونة في هذه المقبرة .

في باريس :

هنا قصر شايو ؟.

تدير مفتاح الراديو فى باريس فيقرع سمعك على الفور صوت المذيع وهو يصيح فى حماس :

— هنا .. قصر شايو ..

ثم يذيع نبأ من أنباء الأمم المتحدة أو خطبة لوفد من وفودها .. وتستطيع أن تمضى فى الاستماع لهذا النبأ أو تلك الخطبة إذا كان الراديو ملكك أو لك حق التحكم فيه .. أما إن كنت فى بيت من بيوت باريس أو فى محل عام من محلاتها فإن صاحب البيت أو مدير المحل يسرع إلى الراديو فيغير المحطة الغارقة فى موجة الأمم المتحدة إلى محطة أخرى من محطات باريس الأربعة تغنى أغنية خفيفة مرحة لإديث بياف أو موريس شيفاليه . . أو تقدم فى التليفزيون مباراة حامية من مبارايات الملاكمة أو المصارعة

إن الباريسيون لا يعبأون بالأمم المتحدة ، ولا يكادوا يحسون بوجودها فى بلدهم ، وتسعون فى المائة من أهلها لم يكلفوا أنفسهم مؤونة الذهاب إلى قصر شايو حتى ولو ليلقوا نظرة عليه من الخارج ، والعشرة فى المائة الذين يذهبون هم الموظفات والموظفين والعاملات والعمال الذين استخدمتهم سكرتارية الأمم المتحدة فى أعمال الدورة السادسة للجمعية العامة فى باريس حتى لا تتكبد نفقات سفر وإقامة موظفيها وعمالها الدائمين فى نيويورك فلم تأت إلا بنفر قليل معدود منهم . وعدا هؤلاء كالة العشرة فى المائة من السياح الذين يزورون باريس الآن والذين يسعون لمشاهدة قصر شايو وحضور جلسة من جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة أو جلسات لجانها سعيهم لزيارة قصر فرساى أو مشاهدة استعراض مسرحى فى الفولى برجير . بقى نفر آخر من أهل باريس فى عداد هذه العشرة فى المائة يقبل على مشاهدة جلسات الأمم المتحدة وهن عجائز باريس اللوائى فرغن من دنياها الصاخبة الحلوة وفرغت منهن هذه الدنيا يذهبن إلى هناك وفى حقائبهن

خيوط الصوف وإبر التريكو ويأخذن مقاعدهن بين صفوف المتفرجين وتدور إبر التريكو بين أصابعهن .. تماما كما كانت نسوة باريس تفعلن خلال الثورة الفرنسية إذ يحطن بالجيلوتين فى الميادين العامة ويجلسن حولها وإبر التريكو تدور بين أصابعهن ، فلا يرفعن بصرهن عنها إلا كلما هبطت سكين تلك المقصلة الرهيبة العظيمة قاطعة رأسا من رؤوس نبلاء فرنسا أتباع الملكية .. وعجائز الأمم المتحدة فى قصر شايو لا يرفعن هن الأخريات رؤوسهن عن إبر التريكو إلا كلما دقت مطرقة رئيس الجلسة التى يشهدنها لتحفظ النظام أو لتعلن بدء كلام خطيب من خطبائها

وكانت تذاكر جلسات الأمم المتحدة فى نيويورك « ليك سكسس » و « فلاشنج ميدوز » فى العام الماضى فى دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة الخامسة جواز المرور إلى قلب كل حسناء أمريكية . . وكان لها سوق سوداء تباع فيه وتشترى . . أما فى باريس هذا العام فلا تعتد بها أى حسناء وجواز المرور إلى قلبها ما زال كما بدأ بعد الحرب جوارب نايلون أمريكانى أو علبة سجائر أمريكية وتدلل سكرتارية الأمم المتحدة على تذاكرها بالمجان .

وكان لابد من أن تنعقد الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها السادسة الحاضرة فى مكان آخر غير نيويورك ، فإن مقرها الدائم هناك لم ينته من بنائه سوى مبنى السكرتارية واللجان . . أما مبنى الجمعية العامة فلن يتم قبل نهاية هذا الشتاء . . ومبنى مجلس الأمن فى ليك سكسس وكان جانبا من مصنع للأسلحة قد جار عليه المصنع مع التوسع الأمريكى الحاضر فى الإنتاج الحربى . . ومقر الجمعية العامة المؤقت فى فلاشنج ميدوز — وكان أصلا معرضا لنيويورك لا يتسع للجمعية والمجلس واللجان .

وبحثوا عن مقر لإنعقاد الدورة السادسة ... فلم يجدوا سوى أوربا ... ولم يجدوا فيها إلا قصر شايو فى باريس ... ولم يخطر لهم ببال أن يعقدوا دورتهم فى مقر عصبة الأمم الضخم الفخم فى جنيف حتى لا يقلقوا راحة جثمان المأسوف

عليها عصبة الأمم فى مرقده الأخير هناك ... وإن كان طوال اللسان من الساخرين بالأمم المتحدة يقولون إن أمريكا لا ترضى بعقد الجمعية العامة للأمم المتحدة فى بلد محايد كسويسرا ولا تطمئن لعقدها إلا فى بلد من البلاد التى تطويها تحت جناحيها كفرنسا .

وقصر شايو بنته الحكومة الفرنسية فى سنة ١٩٣٧ ليكون مقراً لمعرض باريس الذى أقامته فى تلك السنة ... وجعلته بعد ذلك مقراً لمختلف المعارض والمسابقات والمباريات المحلية والدولية التى تقام فى باريس ... وفى سنة ١٩٤٨ عقدت الأمم المتحدة الدورة الثالثة لجمعيتها العامة فى قصر شايو ... واتسع القصر وقتئذ لها إذ لم تك قد بلغت ما بلغته اليوم من اتساع نطاق وأصبح عدد أعضائها ٦٠ دولة .

ورأوا أن قصر شايو لا يتسع اليوم للجمعية العامة للأمم المتحدة فاكتفوا منه بمسرحه الكبير ليكون مقر انعقاد الجمعية العامة ... وبمطعميه الكبيرين لطعام الوفود ... وبيدروماته لتكون مقر استديوهات السينما والإذاعة ... وأقاموا فى مقدمته على شكل U قاعات انعقاد اللجان ومكاتب السكرتارية والصحافة ... وبنوها من الأخشاب والورق المقوى بحيث يمكن رفعها بسهولة من مكانها عقب انتهاء الغرض من استعمالها ... وكلفهم بناؤها ما يعادل ١٫٣٠٠٫٠٠٠ جنيه مصرى ... وقد قررت الجمعية العامة إهداء هذا المبنى المتنقل بعد انتهاء أعمال الدورة السادسة إلى وزارة المعارف الفرنسية لتجزئه أجزاء تقيم بها مدارس ريفية جديدة .

وما زالت الأمم المتحدة كلها تضحك فى قصر شايو إذ تذكر ما قاله « مسيو أوريول » رئيس الجمهورية الفرنسية فى خطابه الذى افتتح به أعمال الجمعية العامة فى دورتها الحالية . . إذ سمى الأمم المتحدة فى معرض كلامه « Etats Unis » وهى نفس تسمية الولايات المتحدة الأمريكية فى اللغة الفرنسية . فاعتذر واستدرك مبتسما التسمية إلى « Nations Unis » .

حتى فرنسا التى تطويها أمريكا بين جناحيها تسخر بتحكم أمريكا فى الأمم المتحدة وتسلطها عليها ؟ ! .

بين كواليس الأمم المتحدة

بعد أن سلمنى « المسيو موارى » مدير قسم مندوبى ومراسلى الصحف بالأمم المتحدة تذكرة اعتمادى بين هؤلاء المندوبين والمراسلين قال لى :

— والآن تستطيع أن تصور فى الأمم المتحدة فى كل وقت إلا خلال انعقاد الجلسات ، وفى كل مكان إلا فى المطعم والبار الخاصين برؤساء وأعضاء الوفود .

— ولكننا فى العام الماضى فى ليك سكس لم نك مقيدين بمثل هذه القيود ؟ !

— هذه تعليمات السكرتارية .

ولم ألبث أن أدركت السر . . تشنيع المعسكر الروسى على « تريجفى لى » السكرتير العام للأمم المتحدة وتسميتهم إياه « حوت الشمال » واتهامهم إياه بأنه لا يعمل شيئاً وإنما يقضى ثلاثة أرباع يومه على كرسى من كراسى بار الوفود ، والربع الباقى يقضيه فى الفراش .. والواقع أن الرجل لا يكاد يستوى فى مجلسه من منصة الرئاسة فى قاعة جلسات الجمعية العامة أو مجلس الأمن حتى يفر منه إلى البار ليعب من الشراب عباً .. وفى العام الماضى نشرت له صحف المعسكر الشرقى عدة صور فى أوضاع مختلفة أمام البار . . ومن هنا كان أمر تحريم التصوير فى البار هذا العام .. وحرم معه التصوير فى المطعم لا لشىء إلا لأن البار يقع وسط المطعم ..

وقد أصبح تريجفى لى المسكين أخيراً هدفاً لغضب المعسكر الغربى أيضاً بعد أن أعلن فى خطبته فى الجمعية العامة تأييده لرأى مصر بخصوص مصير السودان .. وكان مظهر هذا الغضب أن طالبته دول هذا المعسكر الكبرى بتقديم حساب تفصيلى عن الأوجه التى أنفق فيها أموال الأمم المتحدة .. ملايين الدولارات . منذ أن تولى سكرتاريتها .

وهذه الدورة .. الدورة السادسة للجمعية العامة للأمم المتحدة دورة هادئة ليس فى جدول أعمالها ما يثير .. ولكن حدثت بين الكواليس هناك ثورة

لطيفة طريفة .. أثارتها فتاة أمريكية حسناء بات استانديش «Pats Standish» عاملة الأسانسير الذى يستقله رؤساء أعضاء الوفود فى الصعود والهبوط بين طابق وآخر من طوابق البناء الجديد الذى ألحق بقصر شايو .. إنها لا تبرح كرسيها طوال النهار فى ركن المصعد منهمكة فى حل ألغاز الكلمات المتقاطعة بالجرائد فلا تكاد تلتفت إلى الصاعدين والهابطين معها وهم يسألونها وجهتهم .. وتضغط على مفتاح الطابق الذى طلبوه فى حركة أتوماتيكية ثم تعود إلى القلم الرصاص الذى لا يغادر أصابعها تمضى فى حل ألغاز الكلمات المتقاطعة .. وهى لا ترى تلك الأعين المحيطة بها التى تكاد تلتهمها التهاما .. وكثيراً ما تصل بأحد الصاعدين معها إلى الطابق الأعلى فيقول لها معتذراً :

— عفوا لقد نسيت شيئاً فى السيارة .. سأهبط مرة أخرى ..

أو يقول لها :

— لقد أخطأت الطابق . . أريد الطابق الثالث لا الخامس

ويفعل هذا ليظفر بفرصة أخرى يستجلى فيها محاسن الأمريكية الصغيرة الفاتنة . . وتجرأ آخر الأمر بعض الصاعدين الهابطين على مغازلتها وسألوها موعداً للقاء فأجابتهم بابتسامة عريضة فاتنة وأعطت كلا منهم ميعاداً . . نفس الميعاد أعطته لكل واحد منهم على حدة . . الساعة السابعة من مساء يوم الاثنين والتقوا جميعاً معها فى ذلك الميعاد . . ولم تك وحدها بل كان معها عملاقا من حرس الأمم المتحدة الأمريكية وقدمته إليهم :

— مستر استانديش . . زوجى . . لقد تخلف عن المجىء معى إلى باريس ولم يصل إلا ظهر اليوم فقط .

ومن صباح اليوم التالى انعدم الصاعدون الهابطون فى المصعد أو كادوا ، وأصبح لا يشغل بال استانديش شاغل عن ألغاز الكلمات المتقاطعة .

وإذا ما انتهت جلسة من جلسات الأمم المتحدة أو لجانها . . وخرج الأعضاء

من قاعة الجلسات تستطيع أن تشهد مشهداً طريفاً . . أشبه بمشاهد تغيير المناظر في المسارح ما بين الفصول . . مشهد إعداد قاعة الجلسة للاجتماع التالى . . ترى أولا طابوراً من الفرنسيات — ولا يخلو في بعض الأحيان من الحسان الفاتنات — يحملن الجرادل والمقشات وأدوات النظافة ويهجمن على قاعة الجلسة فينظفنها تنظيف عزيز مقتدر في لحظات معدودة . . وتستطيع أن تعلم منهن طرائف كثيرة عن مخلفات الساسة الكبار بعد الجلسات . . . فمثلا الجنرال كارلوس روميلو رئيس الوفد الفيلبيني يترك دائما قشر الفول السوداني الأحمر الذي يتسلى بأ كله خلال الجلسات كما هو مشهور عنه ومعروف . . وكانت مخلفات جلسة افتتاح الجمعية العامة عجيبة . . ترك أتشيسون رئيس الوفد الأمريكي وريقات الزهرة التي اعتاد أن يحلي بها عروة سترته متناثرة على الأرض ومعها عنقها عاريا ، ولعله كان يسأل هذه الوريقات نبأ المستقبل « سلام أم حرب » . وترك فيشنسكي غلاف قطعتين من قطع الشيكولاته ، ولعله كان يتزود استعداداً لمعركة الكلام التي يحلو له أن يخوض غمارها دائماً . . أما ايدن فقد ترك أظافره ولا تدرى « كارول » الفتاة التي كنستها إن كان قد قلمها بأسنانه غيظاً أو استعمل في تقليمها أداة تقليم الأظافر التي لا تغادر جيبه . . أما الوفد المصرى فقد ترك ورقة كتبت عليها عبارة ، وظنت « ميشيل » الفتاة التي عثرت عليها أن فيها شيئاً هاما فذهبت بها إلى سكرتيرى الوفد فتبين أنها كانت أمام الدكتور محمد صلاح الدين باشا رئيس الوفد وأنه كتب عليها بقلمه « نصر من الله وفتح قريب »

وبعد أن ينتهى طابور الكناسات من حملته يأتى دور « مدام مارتيو Mme. Martiu » الفرنسية ومهمتها توزيع أوراق الكتابة وأقلام الرصاص . . تضع أمام كل عضو ورقاً وقلما لتدوين ملاحظاته خلال الجلسات . . وهى تشكو مر الشكوى من جميع الأعضاء بلا استثناء . . كلهم يستولى على القلم الرصاص لنفسه في آخر كل جلسة وتقول :

— يخيل إلى أنهم سيعتزلون السياسة بعد هذه الدورة ويفتحون دكاكين يبيعون فيها أقلام الرصاص .

ومع مدام مارتيو يأتى أيضاً دور شاب فرنسى اسمه « لوجوا Loughois » مهندس كهربائى ، مهمته اختبار صلاحية الميكروفونات التى يستمع بها الأعضاء . ولهذه الميكرفونات أهميتها القصوى لأنها كما هو معلوم تتيح لكل عضو من الأعضاء الاستماع باللغة التى يفهمها من اللغات الدولية الخمسة المعتمدة فى الأمم المتحدة . . يكفيه أن يدير زراً صغيراً ليسمع باللغـــة التى يريد كل ما يدور فى الجلسة من خطب ومناقشات مهما كانت اللغة التى تدور بها . . ويشكو لوجوا من عمله هذا ويقول :

— يخيل إلى أننى سأصاب بالصمم . . ولكننى على أى حال أحمد الله أننى أستمع فى هذه الميكروفانات خلال أوقات الراحة فيما بين الجلسات . . وإلا لو كنت أستمع خلال الجلسات للخطب النارية والمناقشات الافلاطونية لفقدت سمعى من أول جلسة .

وفى وسطه منصة دائرية فى قاعة جلوس رؤســاء وأعضاء الوفود نرى ثلاث فتيات حسان أنيقات ... هن « مسز ويمار » الأمريكية و « مدموازيل روستان » و « مدموزيل كوتان » الفرنسيتين ... والثلاث عاملات تليفون فى خدمة رؤساء وأعضاء الوفود ... وعبثاً تستطيع أن تنتزع سراً منهن ... ولكنك لو تلصصت حولهن بحيث لا يرينك لاستطعت أن تكشف أسراراً وطرائف من ثرثرتهن النسوية التقليدية ... وتدرك أن رؤســاء وأعضاء الوفود أغلبهم يحيا حياة باريس المرحة اللاهية ... فهذا عضو من أعضــاء وفود دولة أسيوية محافظة يعتذر فى التليفون لزوجته فى الفندق بأن جلسة إحدى لجان الأمم المتحدة التى هو عضو فيها ستمتد إلى صباح اليوم التالى لخطورة المســائل التى تبحثها ويعتذر عن العودة تلك الليلة . . ثم لا يلبث أن يتصل براقصة معروفة فى ملهى « البيجالز Pigales » فى حى البيجال ... حى الملاهى الليلية فى باريس ...

ليرتبط معها بسهرة ليلته ... وأغلب أعضاء الوفود يتصلون بأطباء اخصائيين لتحديد مواعيد لزيارتهم وتقول « روستان » .

— إن ساسة العالم كلهم مرضى ... وتسع وتسعون فى المائة منهم يشكون من علة بالقلب ... ولعل مركب النقص إذن هو سر « فرعنتهم » ...

ومن النافذة الكبيرة وراء عاملات التليفون الثلاث الحسناوات ترى برج إيفل ... وتلتفت إليه « كوتان » وتروى لك قصة عاشقين مدلهين صعدا إلى قمة البرج واسترسلا فى المناجاة وبث الهوى والصبابة حتى قالت الفتاة لفتاها :

— لو ألقيت بنفسى من قمة هذا البرج إلى الأرض فماذا تفعل ؟

وأجابها الفتى :

— أنزل وراءك ...

وتمضى كوتان فى قصتها فتقول إن الفتاة ألقت بنفسها فعلا من فوق قمة البرج إلى الأرض ... وسكتت ... فسألتها فى لهفة :

— وماذا فعل الفتى ... هل بر بوعده ونزل وراءها ؟

وتضحك كوتان ثم تجيب :

— نعم ... نزل ... ولكن فى الأسانسير ...

وترى قسم الصحفيين ... وهو جناح كبير ... يموج بهم من شتى النحل والجنسيات ... ومن الجنسين كبرج بابل ... ولا تسمع سوى أصوات الآلة الكاتبة والتيكرز ... وبين حين وآخر تسمع صوتاً خافتاً يطلب من إحدى موظفات المكتبة الخاصة بالصحفيين وثيقة أو نشرة من النشرات يرجع إليها فى الموضوع الذى يكتبه ...

وفد مصر فى الدورة السادسة . . .
للأمم المتحدة . . .

تألف وفد مصر إلى هيئة الأمم فى دورة الجمعية العامة السادسة من عناصر قوية متمكنة من الشئون السياسية والاقتصادية ، مما جعل لأصواتهم صدى بعيد عند إثارة قضية مصر أمام ممثلى دول العالم :—

الدكتور محمد صلاح الدين باشا .. رئيس الوفد ووزير الخارجية الأسبق . فى التاسعة والأربعين من عمره .. يحمل ليسانس الحقوق ودكتوراه من باريس . من زعماء الشباب فى ثورة ١٩١٩ .. كان سكرتيراً فى مفاوضات « النحاس . هندرسون » ومفاوضات مونتريه .. عين سكرتيراً لوزارة الخارجية ثم وكيلاً لها حتى أسند إليه منصب وزير الخارجية فى الوزارة الوفدية الأخيره ..

محمود فوزى بك .. ممثل مصر الدائم فى هيئة الأمم المتحدة .. فى الخمسين من عمره .. يحمل ليسانس الحقوق ودكتوراه القانون .. تقلب فى المناصب الدبلوماسية ، فمثل مصر فى إيطاليا وأمريكا وفلسطين .. يؤمن بأن ميثاق هيئة الأمم هو الخلاص الوحيد للعالم من كارثة الحرب المقبلة لو نفذ بدقة وأمانة .

عدلى أندراوس بك ... حصل على ليسانس الحقوق الفرنسية عام ١٩٢٥ ودبلوم العلوم السياسية والاقتصادية من فرنسا عام ١٩٢٧ ... عين قاضياً بالمحاكم المختلطة وظل فى منصبه حتى سنة ١٩٤٦ حيث عين مديراً للادارة الافرنجية بديوان جلالة الملك . أختير وزيراً مفوضا ومندوبا فوق العادة لمصر فى اليونان فى أواخر سنة ١٩٤٩ واستمر يشغل هذا المنصب إلى الآن .

عبد المنعم مصطفى بك . . وزير مصر المفوض فى برن ... فى الخمسين من عمره ... يحمل شهادة الحقوق الفرنسية . تقلب فى كثير من مناصب السلك الدبلوماسى ... اشترك فى لجنة التوفيق الدولية مع أعضاء الوفود العربية ... من الأخصائيين فى المسائل العربية ... وهو أحد مؤسسى جامعة الدول العربية لعب دوراً هاماً فى مسألة اللاجئين العرب .. كما شارك فى حل كثير من مشاكلها .

أحمد رمزى بك ... من كبار موظفى وزارة الاقتصاد الوطنى... فى الخمسين من عمره ... يحمل شهادة الحقوق وأجازة العلوم السياسية والاجتماع من لوزان وشهادة العلوم الاقتصادية من زيوريخ ... خدم السلك السياسى أكثر من عشرين عاماً ... شارك بنصيب كبير فى تأسيس جامعة الدول العربية . له مواقف مشهورة وآراء سديدة فى إعادة الدستور والحياة النيابية للشقيقتين سوريا ولبنان.

جلال عبد الرازق بك . . مدير الإدارة الاقتصادية بوزارة الخارجية . . فى الحادية والخمسين من عمره ... درس القانون فى مصر والعلوم الاقتصادية فى فرنسا . . اشتغل بالسلك السياسى قرابة ربع قرن ... اشترك فى عضوية كثير من اللجان الاقتصادية والسياسية ... كما اشترك فى بحث وإعداد كثير من المذكرات السياسية التى كان لها دوى كبير فى تاريخ مصر الحديث .

الدكتور حامد سلطان ... أستاذ القانون الدولى بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول ... فى الثالثة والأربعين من عمره ... يحمل ليسانس الحقوق من باريس ... وضع رسالة عن هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها الثلاث ... اشترك مع وفد مصر فى هيئة المتحدة السنة الماضية ... كان مستشاراً قانونياً لوفد مصر برئاسة المغفور له النقراشى باشا الذى عرض القضية المصرية على مجلس الأمن .

محمود عزمى بك . . من كبار الصحفيين المصريين . . فى الحلقة السادسة من عمره ... تعرف له « الجريدة » و « السياسة » جولات رائعة فى المضمار السياسى والأدبى . . درس القانون الدولى والمشاكل العالمية دراسة العالم المتبحر

واشترك فى كثير من المؤتمرات الدولية ... ومثل مصر فى كثير من البعثات آخرها بعثة مصر لتحقيق الاضطرابات المراكشية الأخيرة ... تولى إدارة المطبوعات من سنوات ...

الدكتور احمد موسى ... مندوب مصر فى لجنة تعويضات الحرب المصرية الايطالية ... فى الثامنة والثلاثين من عمره ... يحمل ليسانس الحقوق والدكتوراه من جامعة باريس ... حصل على دبلوم العلوم الدولية العليا سنة ١٩٢٤ ... تولى التدريس بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول ... اشتغل بالقضاء المختلط وإدارة الرأى بمجلس الدولة . كان المستشار القانونى لقائد القوات المصرية بفلسطين ... ومفاوضات الهدنة ...

يوم مع صلاح الدين

قالت لى « مدام شارتريت » الصحفية الفرنسية المشهورة وإحدى المتحدثات بلسان « كاى دورساى » مقر وزارة الخارجية الفرنسية ونحن فى انتظار انفضاض اجتماع عقده الدكتور محمد صلاح الدين باشا وزير خارجية مصر ورئيس وفدها فى الأمم المتحدة . . اجتماع من اجتماعاته التى كان يعقدها من يوم لآخر مع رؤساء الوفود العربية فى « فندق البرنس دى جال » حيث كان ينزل الوفد المصرى . . قالت لى الصحفية الفرنسية اللامعة :

— سيطول انتظارنا . . لأن اجتماعات صلاح الدين تطول غالباً . . حتى يخرج منها بنتيجة . . لقد تعود الانتصار دائماً . . وهذا الاجتماع خطير كما تعلم لأنه يسعى لجمع كلمة العرب بالنسبة لموقفها من حلف شرقى البحر الأبيض المقترح عليكم من الدول الأربعة الكبيرة .

قلت وأنا أنظر فى ساعتى :

— إنه لن يطول هذه المرة . . فالوزير مرتبط بحفلة عشاء يقيمها فى الساعة الثامنة فى دار السفارة المصرية ، ولم يبق على هذا الموعد سوى ربع ساعة فقط .

— ولكن مدعويه إلى هذه الحفلة هنا معه . . رؤساء الوفود العربية . . وبذلك سيكون فى حل من أن يبقى . . وسوف ترى . .

وصدق ما توقعته مدام شارتريت ، إذ لم يخرج صلاح الدين ورؤساء الوفود العربية من اجتماعهم إلا وقد شارفت الساعة منتصف العاشرة . . ووقف صلاح الدين بين حشد كبير من صحفيي الأمم المتحدة يجيب على أسئلتهم . . سألوه :

— ماذا دار فى الاجتماع ؟

فأجاب :

— بحثنا موقف الدول العربية من حلف شرقى البحر الأبيض المتوسط المقترح عليها ؟

وكان سؤالهم الثانى :

— وعلام اتفقتم ؟

وأجاب الوزير الكبير :

— سنجتمع مرة أخرى بعد ثلاثة أيام .

واقتحم نطاق الأسئلة صحفى بريطانى فقال :

— هل من خلاف بينكم .

وأثار السؤال ثائرة فاضل بك الجمالى رئيس الوفد العراقى فتقدم إلى الصحفى البريطانى وصاح فى وجهه قائلا :

— ولمّ تتوقعون لنا الخلاف .. لابد وأنك دسيسة إسرائيلية .

وكانت أزمة . ولكن صلاح الدين استطاع تخطيها بحيث اعتذر الصحفى نفسه لفاضل بك جمالى وكان يتوقع العكس وعاد الصحفيون إلى أسئلتهم :

— هل بحثتم شيئاً آخر ؟

وسكت صلاح الدين والتفت إلى زملائه رؤساء الوفود العربية حوله كأنما يستأذنهم فى الجواب ثم أجاب .

— ربما ..

ورأى معاليه أحد الصحفيين يتقدم إلى فوزى باشا الملقى وزير شرق الأردن المفوض فى باريس ويهمس إليه بسؤال فناداه قائلا :

— تعال عندى هنا ... فلن يعطيك أكثر مما أعطيتك . . . إننا متفقون بالإجماع على كل شىء حتى الأجوبة على أسئلتكم . . . وقد قلت لكم كل ماعندنا الآن .

واستأذن للذهاب إلى مأدبة السفارة المصرية . . . ورآنى فنادانى وقال لى معتذرا فى أدبه الرقيق البالغ :

ـــ لامؤاخذة ياسى رفعت .. خلينا لبكرة ..



الدكتور صلاح الدين باشا ومحمود بك فوزى
فى إحدى جلسات الجمعية العامة

وهو لايخاطب صحفيا مصريا إلا ويسبق اسمه بهذه الكلمة الأدبية الرقيقة « سى » .. وكان اعتذاره لى عن موعد فى السابعة لحديث صحفى خاص . . . وكان يقدر انتهاء اجتماع العرب فى تلك الساعة فيخصنى بساعة بعدها حتى يحين موعد مأدبة السفارة .



الدكتور صلاح الدين باشا يتحدث إلى المؤلف
فى إحدى حفلات الوفد المصرى بفندق البرنس دى جال بباريس

وكنت على موعد آخر فى الصباح لهذا الحديث .. فى الساعة الثامنة صباحا بفندق البرنس دى جال .. ولكننى عندما ذهبت كان الوزير مشغولا باستعراض أنباء الصحف فى مصر وفى جميع أنحاء العالم مع ملحق الوفد الصحفى الأستاذ عبد الحميد الاسلامبولى .. ومصادره فى اطلاعه هذا ما كان يصله من جرائد مصرية وأجنبية ومن نشرة يومية ملخصة لما يهم مصر من أنباء فى الصحف الأجنبية كان يعدها قسم الصحافة بالسفارة المصرية بباريس ونشرة يومية ملخصة أخرى عن أنباء مصر تعدها وكالة أنباء مصرية فى القاهرة وترسلها لمعاليه فى باريس بالطائرة يومياً . . ويقول الملحق الصحفى عن الوزير :

ـ إنه كثيراً ما يسبقنى فى الاطلاع . . أكون قد جئته بخبر خطير فإذا به يخرج من جيبه قصاصة الصحيفة التى نشرت الخبر . .

وفى مجلسه الصباحى هذا مع ملحق الوفد الصحفى كان يرتب خطة الدعاية لليوم الجديد . .

وما كاد الوزير ينتهى من اجتماعه الصحفى الصباحى حتى كان أعضاء الوفد المصرى قد أقبلوا . . وكانت الساعة قد بلغت التاسعة . . فاعتذر لى الوزير ريثما ينتهى من اجتماعه اليومى بهم حتى يلحقوا بلجانهم فى الأمم المتحدة . . وبدأت الاجتماع .. اجتماعا كان يحرص عليه الوزير كل يوم لينسق خطط عمل أعضاء الوفد ويوفر بينها التوافق والانسجام ، حتى يكونوا جميعا فى لجان الأمم المتحدة رجلا واحداً هدفه إعلاء كلمة مصر ونشر كرامتها وعزتها .. وإلى جانب هذا كان لا يفوته أن يستفسر عن شئون كل واحد الخاصة كما يعنى كل أب بار يرعى شئون أبنائه . . ويقدم نصحه ومعونته .

وانتهى هذا الاجتماع فى منتصف الحادية عشر وخرج الأعضاء إلى الأمم المتحدة .. واستأذن منى الوزير دقائق أخرى ليصرف أعمال الوفد الإدارية

والكتابية مع إدارييه وسكرتارييه .. وقدر لى ألا ينتهى من هذه الأعمال إلا ليستقبل عبد الفتاح عمرو باشا سفيرنا فى لندن ويقضى معه ساعة طويلة بين جدران خزانة مقفلة من الكتمان لا يعلم أبدا بأسرارها غيرهما .. وبعد عمرو باشا لم تتح لى فرصة اللقاء أيضا فقد جاء دولة نورى باشا السعيد ودخل مع الوزير خزانة الكتمان المقفلة ساعة أخرى . .

وبعد هذه الساعة التى قضاها الوزير مع نورى السعيد باشا لم تتح لى الفرصة مع ذلك . . . فقد كانت الساعة قد بلغت الواحدة ظهرا . . وكان صلاح الدين قد دعا لمائدته « مسيوجان بوليتس » رئيس الوفد اليونانى فى الأمم المتحدة ومعه اثنين من أعضاء هذا الوفد . . . وكان المدعوون الثلاثة قد وصلوا . وبمثل هذه المآدب الصغيرة كان صلاح الدين يسعى لكسب أصوات دول العالم إلى جانب مصر .. وحديث الموائد أقرب دائما إلى القلوب فى طريقه إلى البطون .

وأرجأ صلاح الدين موعده معى إلى مابعد الظهر .. ولكن كانت تنتظرنى مفاجأة أخرى . . دعى الوزير فجأة إلى اجتماع مع الوفود الأسيوية فى الأمم المتحدة . . اجتماع للتفاهم وتقريب وجهات النظر . . وذهبت إلى هناك .. وكانت مفاجأة سارة لى حقا أن أرى مائدة الاجتماع — وكنت لا أتوقع أن أرى غير رؤساء الوفود العربية فقط — فإذا بى أرى معهم « السيد محمد ظفر الله خان » وزير خارجية باكستان ورئيس وفدها فى الأمم المتحدة .. إن كلمة مصر تدوى اليوم فى كل مكان وتجد صداها فى الأذان البعيدة .. وانتهى الاجتماع .. وتقدمت الى السيد ظفر الله خان أسأله عن موقف باكستان بالنسبة لقضية مصر فأجابنى وهو يربت بكفه الضخمة على كتفى :

— وهل تنتظر مصر منا غير التأييد وهى أول من أيدنا من قبل فى قضايانا .



صورة تذكارية تجمع بين صلاح الدين باشا وجميع أعضاء الوفد المصرى
فى الدورة السادسة للجمعية العامة للأمم المتحدة

وقال لى صلاح الدين :

— تعال معى إلى الفندق . . عندى اجتماع آخر لرؤساء الوفود العربية . . وسأنتهى منه فى السابعة ثم أجلس معك حتى يحين موعد عشاء السفارة . .

وذهبت مع الوزير الشاب العامل . . الدينامو الذى لا يهـدأ ولا يكل . . إلى فندق البرنس دى جال . . ودخل اجتماع رؤساء الوفود العربية . . وجلست أنتظر مع زملائى الصحفيين الأجانب وأستمع لحديث مدام تشارتريت ، وليقرأ القارىء هذا الفصل من أوله . .

وكل يوم من أيام صلاح الدين فى باريس كان يجرى على هـذا المنوال شأن أيامه فى مصر . . وعمره كله يقضيه فى الجهاد والـكفاح . . ولن يضيع أجر المجاهدين المـكافحين أبدا .



كان الدكتور صلاح الدين باشا يعقد اجتماعا مع أعضاء الوفد
في صباح كل يوم لينسق خطط أعمالهم اليومية في الأمم المتحدة ويوفر بينها التوافق والانسجام

انتصارات صلاح الدين

كانت الأضواء كلها مسلطة على صلاح الدين فى الأمم المتحدة فى باريس . . سواء كان فى قصر شايو حيث تعقد الجمعية العامة للأمم المتحدة دورتها السادسة . . أو كان فى « فندق البرنس دى جال » حيث ينزل الوفد المصرى فإنك كنت تجد صحفيي العالم كلهم بالعشرات حوله يسألونه .. ويجيب صلاح الدين .. وقد لا يجيب بأكثر من ابتسامته الدائمة المشهورة . . وفى كلتا الحالتين يقنع سائله . . وتنهال طلبات صوره الفوتوغرافية من سكرتارية الوفد لتأخذ مكانها مع أحاديثه وتصريحاته فى صدر صحف العالم . . وفى شايو كان يحيط به الزائرات والزائرين يسألونه التوقيع فى أتوجرافاتهم . . وقفت فى ردهة الأمم المتحدة مع الصحفية الفرنسية المشهورة « مدام شارتريت » إحدى المتحـدثات بلسان وزارة الخارجية الفرنسية نشهد عن بعد صلاح الدين وسط موجة من الصحفيين الأجانب فقالت لى :

— هنيئاً لهذا الشاب . . لقد دخل التاريخ . .

وكانت أخبار مصر تحتل مكانا كل يوم فى جميع الصحف الفرنسية .. وقد حمل صلاح الدين من مصر مجموعة ضخمة من الصور الفوتوغرافية التى صورها مصورى الصحف المصرية .

* * *

فى الردهة الطويلة بجناح الصحافة فى قصر شايو كانت هناك « تخته طباشير » سوداء .. وفى صباح كل يوم كانت « آنى » الأمريكية الحسناء إحدى موظفات قسم الصحافة بالأمم المتحدة تمسك بأصبع الطباشير بين أناملها الرقيقة وتخط على « التختة » قائمة بالمؤتمرات الصحفية التى كانت تعقدها وفود الدول المختلفة وتدعوا اليها صحفيات وصحفيين العالم ليحدثهم رؤساؤها وأعضاؤها فى الأمور التى تهم دولهم



صلاح الدين باشا يخطب فى باريس ٠ ٠ ٠

وشعوبهم وتعنى بها . . كانت « آنى » تخط فى هذه القائمة يوميا قائمة المؤتمرات، وتحدد مكانها وزمانها . . . فى قاعة من قاعات اللجان العديدة بالأمم المتحدة . . . وبعد الظهر غالبا . .

وقلة من وفود الدول هى التى كانت تعقد هذه المؤتمرات . . وهذه القلة لم تعقد حتى الآن سوى بضع مؤتمرات معدودة . . أما وفد مصر فقد عقد حوالى ٣٠ مؤتمراً صحفيا ، قدر ما عقدته الوفود الأخرى كلها مجتمعة إن لم يكن يزيد . . فلم يك يمر يوم تقريبا إلا وتبدأ « آنى » قائمتها باسم الوفد المصرى . . فقد وجد الوفد المصرى فى هذه المؤتمرات وسيلة ناجحة محققة الأثر لإعلان صوت مصر من فوق أعظم منبر دولى « الأمم المتحدة » وكان النجاح والتوفيق . . وأوسعت صحف العالم كلها صفحاتها الأولى لمصر وأنباءها . . وتلقف صحفى الأمم المتحدة الكراسات والمنشورات والصور الفوتوغرافية التى يوزعها الوفد المصرى فى هذه المؤتمرات . . تلقفوها كما يتلقفون ظفراً صحفياً . . والظفر الصحفى فى دورة الأمم المتحدة السادسة هذه الميتة الراكدة كان فى حكم المعدوم . . وسرعان ما كانت هذه المطبوعات والصور تطير مع البرق إلى مختلف أنحاء العالم .

وكان أول مؤتمرات الوفد المصرى الصحفية برئاسة معالى الدكتور محمد صلاح الدين باشا رئيس الوفد . . وحضره ٥٢ صحفية وصحفيا من الصحفيين الدوليين . . وهذا العدد كنت تجده دائماً فى جميع مؤتمرات الوفد لا يكاد ينقص ، بينما لا يتجاوز فى مؤتمرات الوفود الأخرى ٢٠ أو بالكثير ٢٥

وبدأ صلاح الدين الاجتماع بقوله :

« ســـادتى

اسمحوا لى أولاً بأن أقدم لكم شكرى الخالص على قبولكم الدعوة لهذا المؤتمر التى وجهتها إليكم باعتباركم ممثلى الرأى العام العالمى الذى يهمه دون شك أن يتعرف وجهة نظر مصر فى الحوادث الخطيرة التى تجرى الآن فى أرضها » .

ومضى صلاح الدين يشرح بإيجاز تطور القضية المصرية بين مصر وبريطانيا حتى انتهت إلى إلغاء مصر المعاهدة ..

ولم يجد الصحفيون الدوليون مجالا للمناقشة أو موجباً للأسئلة بعد أن سرد صلاح الدين بيانه . . وكان نصراً لصلاح الدين ، إذا فتح مؤتمره الصحفي هذا صدور جرائد العالم كلها لمصر وقضيتها العادلة منذ صباح اليوم التالى حتى اليوم .



دكتور صلاح الدين باشا يفحص أوراقاً يعرضها على معاليه الأستاذ عبد الحميد الاسلامبولى الملحق الصحفى للوفد

حكاية العضو الجديد

الذى انضم للوفد المصرى فى باريس . . .

وحكايات أخرى ؟ !

لا أظن أحداً فى مصر يعلم بحكاية هذا العضو الجديد الذى انضم للوفد المصرى فى باريس . والمهم فى أمره أنه لا يمكن أن يكون إلا رسول سلام وعنوان تفاهم ووئام ، فليس له فى الحرب حياة وليس له فى الخصومة والمنازعة وجود . .
وتبدأ حكاية هذا العضو الجديد عندما اعترضت سيدة جميلة أنيقة طريق « الرفيق فيشنسكى » رئيس الوفد الروسى فى الجمعية العامة السادسة للأمم المتحدة . . . اعترضت طريقه وهو يدخل قصر شايو وفاجأته بأن قدمت له قفصاً جميلا به حمامة وديعة لطيفة وقالت له :

— اقبلها منى هدية باسم نساء العالم كله .. حمامة السلام .

— ومن تكونى ؟

— آنى جولد المغنية .

وانحنى فيشنسكى بأدبه ورقته المعهودين فيه يحيى المغنية الباريسية الجميلة المشهورة وتقبل منها هديتها شاكراً ، ثم قال لها :

— لا يكفى أن تقدميها إلى .. يجب أن تقدميها للآخرين .

ومد يده يصافحها مكرراً شكره واستأذن فى دخول قاعة الجمعية العامة .

ولم تتردد آنى جولد فى أن تقدم فى نفس اليوم نفس الهدية لكل رئيس من رؤساء وفود الدول المشتركة فى الجمعية العامة وضمنها مصر .

وكانت حمامة السلام هى العضو الجديد الذى انضم للوفد المصرى فى باريس . واتخذت لها مكانا فى مكاتب الوفد بفندق البرنس دى جال الكبير . . . وعهد معالى الدكتور محمد صلاح الدين باشا رئيس الوفد إلى تابعه النوبى « الحاج

نور » بالعناية بها . . أى القيام بأعمال السكرتارية لها . . . وكانت المشكلة مشكلة تغذيتها ، واضطر الحاج نور إلى الاتصال بآنى جولد يسألها عن طعام حمامة السلام فقالت له :

— لاشيء سوى التفاح . .

وفتح الوفد المصرى اعتماداً للتفاح . . . وعاشت الحمامة الجميلة أياما فى مقر الوفد المصرى . . . ثم رأى معالى الدكتور محمد صلاح الدين باشا أنها بدأت



حمامة السلام . . بين يدى الحاج نور . . .

تستلفت أنظار سكرتاريى الوفد وتغريهم بالالتفاف حولها فحسم الفتنة بأن أمر بنقلها إلى السفارة المصرية لتنزل هناك ضيفة مكرمة حتى تعود مع معاليه إلى القاهرة .. وسألته :

— ترى هل ستجد لها مكانا فى وزارة الخارجية المصرية ؟ !

فابتسم معاليه وأجاب :

— لا أظن أن ميزانية الوزارة تضيق بها .. ولا أعتقد أنها ستحل أهلا وتجد سهلا مثلما تحل وتجد عندنا فى بلدنا الوديع المسالم ..

وشئت أن أتحرى مصير حمامة السلام عند فيشنسكى وأتشيسون وإيدن .. فتبين لى أن أتشيسون قد أرسلها إلى مقر الأمم المتحدة الجديد فى نيو يورك على ضفاف نهر الهدسون لتستقر هناك رمزاً من الرموز الميتة المقبورة للسلام العالمى الضائع مع السراب .. وأرسلها إيدن إلى حديقة الحيوان فى لندن لتضيع فى غمار عشرات الحمامات من أترابها التى تعيش فى أقفاص الحديقة الكبيرة .. أما فيشنسكى فقد غافلت الحمامة أحد أتباعه وهو يدخل لها طعاما فى قفصها بالشرفة التى استقرت فيها فى مقر الوفد الروسى وطارت من القفص . وانتهزت فرصة لقائى بفيشنسكى فى شايو فى صباح اليوم التالى وقلت له :

— إن حمامة السلام لم تطق الحياة وراء الستار الحديدى وفرت هاربة ..

وكان جوابه :

— ليس هذا .. وإنما وجدت ألا عمل لها عندنا وأن السلام يسود معسكرنا ، فشاءت أن تنتقل إلى المعسكر الآخر حيث تجد لها عملا محققاً هناك ..

وفى كل جلسة من جلسات الجمعية العامة كان يحرص معالى الدكتور محمد صلاح الدين باشا رئيس وفد مصر على أن يكون هو وجميع أعضاء الوفد حاضرين ، بينما كان أغلب الوفود لا يحضر رؤساؤها وأكثر أعضائها ، وكان صلاح الدين يقول فى ذلك :

— لابد من حضورنا .. فقد تعرض فرصة نستطيع أن نتحدث فيها عن مصر وقضية مصر ، وكثيرا ما تعرض مثل هذه الفرصة ..

ويوم أجريت انتخابات « المجلس الاقتصادى » وفازت مصر بعضويته تقدم جميع رؤساء الوفود الحاضرين وأعضائها إلى صلاح الدين فى الجلسة يهنئونه .. وكانت مظاهرة تتعارض مع نظام الجلسات .. ولكن رئيس الجلسة — وكان

يومئذ السير جلادوين جيب رئيس وفد بريطانيا الدائم فى الأمم المتحدة — لم يستعمل حقه فى إيقاف هذه المظاهرة ، وأخـذ يرقبها بعينين وشفتين مغيظة حانقة .

وشهد هذه الجلسة « الأميرمساعد » أحد أنجال الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية . . وكان يجلس فى مقصورة الشرف ، وجلس معه المطرب الأستاذ محمد عبد الوهاب .. وكانت باريس كلها تتحدث عن الأمير مساعد وعن سخائه فى الانفاق .. فقد كان متوسط نفقاته كل أسبوع فى فندق «جراندأوتيل» حيث كان ينزل هو وحاشيته ١٫٢٠٠٫٠٠٠ فرنك أى ما يعادل ١٢٠٠ جنيه مصرى ، وقد أمضى فى هذا الفندق حتى اليوم خمسة أشهر . . وبحسبة بسيطة يتبين أنه أنفق خلال هذه المدة فى الفندق فقط ٢٤٠٠٠ جنيه مصرى .. هذاغير نفقاته الأخرى ومشترياته .. فقد اشترى مثلا بمليونى فرنك لعباً لأولاده ، أى بما يعادل ٢٠٠٠ جنيه مصرى .

وفى مقر وفد مصر بفندق البرنس دى جال كانت هناك حركة دائبة دائمة لاتنقطع نهاراً أو ليلا ، حركةلاتراها أبدافى مكتب آخرمن مكاتب وفودالدول حتى الدول الكبيرة .. وكان يدير هذهالحركة الأستاذ عبد الحميد سعودى مدير مكتب الوزير ، والوزير كان أكثر أعضاء الوفد عملا وحركة تتصل ساعات النهار بساعات الليل فى يومه دون راحة أو هوادة .. وعبد الحميد سعودى كان ظله الذى لايفارقه .. وهو بالتبعية لم ير باريس أبداً ، ويقول عن الوزير :

— صلاح باشا هو هو ... فى مصر أو باريس ... أو حتى فى القطب الشمالى ... أحب مجلس إليه مكتبه ، وأحب ندوة إليه الإجتماعات والمؤتمرات السياسية ، وأحب قراءاته الوثائق والمستندات الضخمة الدولية ... وهو مع ذلك كله ينسى نفسه وينسى حقوقها عليه ومطالبها منه ...

والسكرتير العام للوفد « الأستاذ أحمد المسيرى » . . . أحد النجوم التى اكتشفها صلاح الدين فى السلك السياسى المصرى .. رآه فى العام الماضى فى نيويورك



مؤتمر عربي أسيوي في شايو يجمع بين الدكتور صلاح الدين باشا ورؤساء الوفود العربية مع السيد ظفر الله خان وزير خارجية الباكستان

حيث كان يعمل فى وفد مصر الدائم بالأمم المتحدة وتوسم فيه نبوغا وتفوقا فجاء به إلى القاهرة ليكون سكرتيره الفنى فى وزارة الخارجية . . . إن مهمة المسيرى الأولى فى نظر سكرتاريى وموظفى الوفد كانت إمضاء الشيكات التى يصرفون بها بدل السفر المقرر لهم . . . وفى طريقهم إليه لملاحقته حتى يمضى هذه الشيكات لابد من أن يمروا بالأستاذ فواد خزام القائم بأعمال حسابات الوفد والذى يحرر هذه الشيكات .. ويقول الأستاذ المسيرى أن عمله كان يقتضى أن يستيقظ مبكراً ليكون فى انتظار الوزير فى المكتب . . والوزير كان يستيقظ مع الفجر . . والاستيقاظ فى باريس الغارقة فى شتائها حيث لا تشرق الشمس قبل التاسعة صباحا من أصعب الأمور وأشقها مهما دق جرس المنبه إلى جانب الفراش الدافىء الوثير .. ولكن المسيرى كان يضمن الاستيقاظ دون حاجة إلى المنبه بفضل ملاحقة أصحاب الشيكات له فى التليفون .. ومنهم من كان يتكرم بزيارته فى غرفته ويقرع بابه حتى يستيقظ وينزل من غرفته إلى مكتبه .. أما الأستاذ فؤاد خزام فكان بينهم وبينه « عزول » .. آلة الشفرة . . فهو الذى كان يكتب رسائل الوفد بالشفرة ..وعندما كان ينفرد بهذه الآلة فى مكتبه لا يستطيع أحداً الدخول عليه . وبذلك كان يخلص بنفسه .

وكان المسيرى يتلقى عشرات الدعوات لحفلات ومآدب وزيارات موجهة للوزير فى كل يوم ، وصلاح الدين فى هذه الدورة من دورات الأمم المتحدة كان النجم البارز ، وليست المشقة فى تلقى هذه الدعوات وإنما المشقة فى رفضها ، فإن الوزير لا يستطيع قبولها كلها .. وهنا كانت تدق مهمة المسيرى وتخطر.. وكثيرون من الداعين لا يتقبلون الإعتذار عن قبول دعواتهم بسهولة ... فقد حدث أن أرسل أحد بيوت الأزياء الكبيرة فى باريس دعوة للوزير لحضور كوكتيل أقامه خصيصا لرؤساء الوفود بمناسبة وجودهم فى باريس ومنتهزا الفرصة ليعرض خلال هذا الكوكتيل أحدث أزيائه ، واعتذر الوزير ، ولما أبدى المسيرى الاعتذار لمديرة هذا البيت قالت له :

— هذا غير ممكن .. لا أعتقد أن الوزير يرفض الدعوة .

— ولِمَ ؟

— لأنه إن رفضها فلن ترفضها « المدام » .

— السيدة قرينة معالى الوزير فى القاهرة ولم تأت معه إلى باريس .

وأجابت مديرة بيت الأزياء فى رنة أسف وتأسى :

— فهمت الآن ...

وحيت المسيرى وانتهت المحادثة ...

ومن أعضاء سكرتارية الوفد « الأستاذ أحمد عثمان » .. كان يلاقى مشاق ويواجه مشاكل لا تنتهى .. والسبب أنه كان مختصاً بإعداد وتقديم ما يلزم الوفد من مستندات ... وبعض هذه المستندات يستعجل الوفد طلبها وقد لا تتوفر فى دواليب أحمد عثمان ... ومن ثم كان ينطلق فى شوارع باريس يبحث عنها فى مكاتبها الكبرى .. فإن لم يجد ففى مكاتب الحى اللاتينى الصغيرة المتواضعة ... فإن لم يجد فعلى أسوار نهر السين حيث يحتشد باعة الكتب احتشادهم عندنا فى القاهرة على سور حديقة الأزبكية ...

ومن بين أعمال سكرتارية الوفد عمل آخر شاق متعب كان يتولاه « الأستاذ وجيه مرزوق » ... يتلقى الجرائد والمجلات المصرية التى ترد للوفد بالطائرة من القاهرة وينظمها فى مجاميع لتكون تحت تصرف أعضاء الوفد للاطلاع عليها والرجوع إليها ... ولكنها ما تكاد تستقر فى مجاميعها حتى تختفى ... وينطلق وجيه مرزوق ليبحث عنها حيث يعلم تماما أين ذهبت ... فى غرف سكرتاريى وموظفى الوفد فى فندق البرنس دى جال فيجمعها منها ويعود بها إلى مجاميعها حيث لا تكاد تستقر مرة أخرى حتى تختفى ... وتدور الدائرة مرة أخرى ... ولا ينتهى سعى وجيه وراء الجرائد والمجلات المصرية صعوداً وهبوطاً من طابق إلى آخر فى الفندق الكبير

وكان يتولى حراسة الدكتور محمد صلاح الدين باشا بالتناوب منذ غادر القاهرة الأستاذ محمود الشافعي المفتش بالداخلية والبكباشي محمود السباعي الضابط بالقسم المخصوص بوزارة الداخلية ... وقد عين بوليس باريس لمعاليه حارساً خاصاً من رجاله السريين فاعتذر معاليه عن قبوله مبدياً اكتفاءه بالحرس المصري ... وعند ما كان يذهب الصحفيون إلى البرنس دى جاله ويرون في ردهته الأستاذ الشافعي والبكباشي السباعي يعلمون أن الوزير لم يغادره بعد ... فإن رأوا في الردهة أحدهما فقط أيقنوا بخروج الوزير ...

و « الحاج نور » تابع الوزير الأمين رجل طيب صالح من خيرة أبناء النوبة ... وقد حدثت له في الأمم المتحدة نادرة لطيفة ... كان يقف في صالون الوفود في انتظار خروج الوزير من اجتماعه ... فرآه الصحفيون الأجانب وظنوه رئيس وفد الحبشة الذي كان قد أعلن في ذلك اليوم عن وصوله إلى باريس والتفوا حوله يحيونه ويمطرونه بوابل من الأسئلة وهو لا يفهم ما يقولون ... وهم لا ينفكون عن إلقاء أسئلتهم ظانين أن سكوته إنما مبعثه حرصه واتزانه في التصريح والقول ... وكانت لحظة عصيبة لم ينقذ نور منها إلا مرور أحد سكرتاريي الوفد المصري ...



الدكتور صلاح الدين باشا يكرم أعضاء الوفد السوداني في باريس

قصة النشيد الذى ولد فى باريس . . .

بعد أيام ستنشد مصر نشيداً جديداً لعبد الوهاب . وكلمات هذا النشيد ألفها السيد خليل تقى الدين وزير لبنان المفوض فى موسكو وعضو الوفد اللبنانى فى الأمم المتحدة ، ألفها فى باريس ... والتلحين بدأه الأستاذ محمد عبد الوهاب فى باريس أيضا . . وهو ماض فيه الآن فى القاهرة . .

ولهذا النشيد قصة أترك مؤلفه يرويها للقارىء كما رواها لى ونحن نذرع الردهة الكبيرة بقصر شايو ذهابا وجيئة . . وخليل تقى الدين من شعراء لبنان القدامى ... المحدثين . . أنشأ هناك منذ عشرين عاما ندوة أدبية تسمى « عصبة العشرة » . . كان يغشاها المرحوم أحمد شوقى بك شاعر مصر الخالد فى سنتى ١٩٣٢ و ١٩٣٣ وقت أن كان ينظم مجنون ليلى . . وكان يرافقه وقتئذ عبد الوهاب ... ومن وقتها بدأت صداقة خليل تقى الدين بعبد الوهاب .

بدأ خليل تقى الدين حديث معى بقوله :

— إننى مقل فى شعرى لا لشىء إلا لأنى لم أنظم شعراً أبداً للمديح أو المراثى إذ أعتقد أن الشعر لم يخلق لهذين النوعين من المجاملات التى غالبا ما تكون مصطنعة أو مأجورة وإنما أقصر شعرى على النوع العاطفى . . والنشيد الذى أقدمه لمصر اليوم عاطفى أيضا . . صادر عن أسمى مراتب العواطف . . الوفاء نحو وطنى ووطن العرب الأكبر . . مصر .

وتبدأ قصة هذا النشيد فى ليلة كنا نحن أعضاء الوفود العربية فى الأمم المتحدة مدعوين فيها للعشاء فى مطعم شرقى فى باريس . . منذ أيام مضت غير بعيدة . . وهناك وجدت بين المدعوين عبد الوهاب . . فسألته :

— ماذا تفعل فى باريس ؟

— أملأ اسطوانات . .

— هربان من مصر وجاى هنا تملأ اسطوانات فى الوقت ده . ؟

— أنا موش هربان .. أنا اضطريت آجى علشان العقد اللى بينى وبين شركة الاسطوانات من زمان ..

— وفين دورك فى مصر دلوقت ؟

— أنا لا أتردد بالقيام بأى دور فى مصر بمجرد عودتى إليها ..

— تعرف دورك إيه . قدم نشيد حماسى . ابدأه من دلوقت وسيبك من إنت إنت ومانتش دارى . . والحبيب المجهول . . موش وقتها دلوقت

— موش بس لما أرجع مصر . أنا راجع حالاً . .

— وليه ما تبدأش دلوقت . ؟

— وأجيب النشيد منين ؟

— أنا أنظمه لك ... راح أقدمه هدية لمصر ... قوم بنا ...

— على فين ؟

— بس تعالى معايا ...

واقتدت عبد الوهاب من يده إلى سيارتى ... وانطلقنا بها إلى غابة بولونيا وغبنا بين دوحاتها وأحراشها فى الظلام ... وجلسنا إلى مقعد من مقاعدها ... فى هدوء وصمت لاتنبعث فيه نأمة اللهم إلاصدى زفرات المحبين وقبلات العشاق الآوين إلى جنة كيوبيد فى الأرض . . وقلت لعبد الوهاب :

— غنِّ . .

— أغنِّى إيه ؟ !

— غنِّ أى حاجة ، علشان أنظم النشيد . .

— دلوقت . . موش ممكن . .

— لا . . ممكن . . بس غنِّ انت . .

وبدأ عبد الوهاب « يدندن » . . وبدأت أنظم النشيد . . وهكذا ولد . . ولم نعد إلى الفندق إلا وقد انتهيت منه . . وقال عبد الوهاب فى الطريق :

— هذا أول نشيد يخلو من ترديد ذكرى وأمجاد الأجداد . .

فقلت له :

— لقد قصدت هذا . . فمصر حاضرها الآن هو الذى يبنى مستقبلها . .

* * *

هذه هى قصة النشيد كما رواها لى خليل تقى الدين . .

وفى اليوم التالى كنت أزور عبد الوهاب فى فندق الجراند أوتيل . . وكان يراجع النشيد على اللحن المبدئى الذى وضعه له . . وعن له تغيير بضع كلمات منه لتطابق اللحن فقال لى وهو يستشيرنى :

— استنى لما أكلم تقى الدين :

وطلبه فى التليفون فى فندق البرنس دى جال حيث ينزل . . وطلب منه تغيير تلك الكلمات . . ووافق تقى الدين أن يغيرها فى الحال . . وقال لعبد الوهاب :

— يللا . . غنِّى . .

— أغنِّى إيه ؟ . .

— غنِّى أى حاجة علشان أغير لك الكلام اللى انت عاوز تغيره .

— فى التليفون . .

— أيوه ..

وابتسم عبد الوهاب وقال لى :

— أصله يا سيدى ما يعرفش « يشعر » إلا لما أغنى له ..

وأخذ يغنى .. أغنيته المشهورة « الحبيب المجهول » حتى غير له تقى الدين الـكلمات .. ولأول مرة حملت أسلاك التليفون فى باريس أغنية لعبد الوهاب :

وانتهت المحادثة الشعرية الغنائية .. وقال لى عبد الوهاب :

— لقد عرضت على تقى الدين ثمناً مغرياً للنشيد فأبى وقال أنه يقدمه هدية لمصر .. وكل ما اتفقنا عليه فى العقد أن يذكر اسمه عند إذاعة النشيد فى كل مرة .. وأظن أنى لن أنسى هذا أبداً ..

— بالطبع .. فتقى الدين لا تنسى هديته هذه لمصر

— ليس لهذا فقط ؟ ! .. إنما لأن العقد يتضمن شرطاً جزائياً إن خالفته ونسيت ذكر اسم تقى الدين أدفع له ١٠٠٠ جنيه ..

وتركت عبد الوهاب مع النشيد .. وبعد يومين سافر فجأة إلى مصر إذ توهم — وحياته كلها وهم وخيال — أنه لو بقى فى باريس بعدها لمرض من بردها .. سافر وحده دون النشيد .. فقد نسيه فى فندقه بباريس وفى اليوم التالى وصلت تقى الدين منه هذه البرقية :

لاضطرارى للسفر فجأة وبسرعة ضاع منى النشيد .. أرجو إرساله لى فى أول طائرة ..

محمد عبد الوهاب

هذه هى قصة النشيد الجديد .. النشيد الذى سيتردد بعد أيام على كل شفاه ..

ومن يدرى فربما يكون نشيد تقى الدين وعبد الوهاب « مارسلييز » مصر الذى يخلد مع تاريخها كما خلد المارسلييز مع تاريخ فرنسا ؟

الفن المصرى . . يشترك فى الدعاية لمصر

استحثت القومية والوطنية فنانا مصريا يقيم فى باريس إلى أن يدلى بدلوه فى حركة الدعاية لمصر . . هذا الفنان هو « الأستاذ عبد الحميد حمدى » . . فأقام معرضاً عرض فيه ٢٥ قطعة نحت من آيات فنه . . ودعا لزيارة معرضه رؤساء وأعضاء وفود الدول فى الأمم المتحدة خلال ثلاثة أسابيع . . وترك لتماثيله أن تحكى لهم قضية مصر وتدمغها لهم بالأدلة والأسانيد .

إن مدرسة حمدى هى تجديد الفن المصرى القديم . . يعتقد أن أصول الفن الحديث منبعها ومصدرها الفن المصرى القديم . . ومن أجل هذا عاش سنوات بين جدران معابد الأقصر وأسوان يدرس هذه الأصول ، ثم جاء إلى باريس ليصقلها بإطار من الفن الحديث ، ونجح ، وأقر الفنانون الفرنسيين قبل المصريين مدرسته وبدأوا يعترفون بأن مصر صاحبة فن قديم ومهد من مهاد الفن الحديث . . وسارت مدرسة حمدى تنمو على جذورها القديمة دون أن تكون عالة على فن أجنبى غريب . . وأقام حمدى معرضه الأول فى العام الماضى فى « صالون الفنانين الفرنسيين » فى باريس ، ونال مدالية هذه الصالون . . وكانت أول مرة ينالها أجنبى . .

والتمثال الرئيسى فى معرض حمدى هو « تمثال الاستقلال » . . وهذه القطعة فى ثباتها وخطوطها السليمة القوية خير دعاية لمدرسة حمدى الحديثة المستوحاة من الفن المصرى القديم . . لقد وقف الدكتور محمد صلاح الدين باشا وزير الخارجية المصرية ورئيس وفد مصر فى الأمم المتحدة أمام هذا التمثال طويلا ثم قال لصاحبه وهو يشد على يديه مهنئا :

— أرجو أن يحتل هذا التمثال مكانه حالاً فى أحد ميادين القاهرة . . هذا وقته . . أعاهدك على السعى بمجرد عودتى . .

وأجاب الفنان :

— إننى أحلم بنصبه فى ميدان محمد على . .

وابتسم الوزير وقال له وهو يربت على كتفه مطمئنا :

— سيتحقق الحلم إن شاء الله .

ومرة أخرى وقف صلاح الدين أمام تمثال آخر لحمدى . . . ماكيت لم ينفذ منه غير جزئين فقط . وعنوان التمثال « النيل » ويرمز إلى الوحدة الطبيعية التى لا تنفصم عراها بين شطرى الوادى . . فيمثل النيل على شكل رجل كهل قوى كأنه من آلهة « الميثولوجى » القديمة قد جلس متكئاً على إحدى يديه ومادا جسده بطوله وعند رأسه جلست فتـــاة تمثل السودان وهى تصب ماء النيل من إناء فوق كتفها . . . ويسير الماء تحت الرجل وحوله حتى يصل إلى قدميه حيث تجلس فتاة أخرى تمثل مصر تتلقى الماء بين يديها وتنثره على مزروعات مصر حولها لتفيض به خيراً ونعما . . لقد صنع حمدى الفتاتين وبقى النيل سيتم صنعه فى مصر

وشاء حمدى أن يشهد وفود الأمم المتحدة بآية من آيات نحته على أن مصر تحب السلام وتعيش من أجله ، فقدم لهم تمثاله « مصر المحبة للسلام » . . . فتاة تمثل مصر واقفة بقامتها الهيفاء الرشيقة تحمل فى يدها اليمنى حمامة السلام وتمسك بيدها اليسرى غصن الزيتون .

وإلى جانب هذه القطع الرمزية الوطنية عرض حمدى قطعة جميلة قدمها برهانا للفنانين الفرنسيين على تفوق مدرسته . . تمثال « مس كاترنيت ١٩٤٨ » رأس فتاة اسمها « أينيس » أنتخبت ملكة للجمال بين الفتيات الفرنسيات دون الخامسة والعشرين فى سنة ١٩٤٨ . . . ولم يدخل على الرأس من الفن المصرى القديم سوى « تسريحة الشعر » .

وكان قد قام برحلة دراسية فنية إلى اسبانيا منذ بضعة أسابيع ... عاد منها بتمثال رائع... تمثال « الراقصة الاسبانية » ... وعرضه فى معرضه أيضا ... وإنك لتقبل عليه فتخال الراقصة تندفع نحوك بخطواتها الراقصة العنيفة وتخال فرقعة « الـكاستينيت » بين أصابعها تجلجل جلجلتها المدوية المطربة فى أذنيك .

وقضى صلاح الدين ساعتين فى متحف حمدى ... وخرج منه بعد أن دون فى سجل الزيارة هذه العبارة :

« هذا معرض يشرف مصر فى باريس . لقد وفق الفنان حمدى كل التوفيق فى أن يغزو عاصمة الفن الحديث بفن مصر مهد الفنون . »

فرنسا تكرم مصر ..

فى باريس جمعية اسمها « جمعية مصر فرنسا » أنشئت منذ سنوات بعيدة أشبه ما تكون بجمعية مصر أوربا عندنا فى القاهرة . . وهدف جمعية مصر فرنسا هو توطيد العلاقات الثقافية والاجتماعية ما بين البلدين ، وهى تضم نخبة من المصريين المقيمين فى باريس وبعض رجالات فرنسا الكبار . . ورئيسها الحالى هو « المسيو شارل رو » رئيس إدارة شركة قنال السويس . . ومن أبرز أعضائها المصريين محمد محمود خليل بك . .

انتهزت هذه الجمعية فرصة وجود معالى الدكتور محمد صلاح الدين باشا وزير الخارجية المصرية على رأس وفد مصر فى الأمم المتحدة فى باريس فدعته إلى حفلة تكريم أقامتها له . .

ووقفت مع المسيو شارل رو ومحمد محمود خليل بك فى انتظار مقدم الوزير وحدثنى المسيو شارل رو عن نفسه فقال :

— ألا تعلم أننى من موظفى الحكومة الفرنسية رغم أننى أشغل منصب رئيس إدارة شركة قنال السويس الحر . . إننى موظف فى الخارجية الفرنسية بدرجة سفير ومعار لشركة القنال . .

وسألته :

— ترى هل تصلح الدبلوماسية فى العمل الحر ؟

— بالطبع . . وإلا لما أبقتنى الشركة فى منصبى طوال هذه المدة . . إن الدبلوماسية هى أولى صفات التاجر الناجح .

وابتدرنى محمد محمود خليل بك بقوله :

— يا خويا ما بتبعتوش لى الجرائد والمجلات هنا ليه .. أظن مستنيين لما أدفع اشتراك .. هو ما فيش إشتراكات مجانية ؟ !

— فيه يا بك .. بس دى عاوزة شهادة فقر .. وسعادتك للأسف ما انتش من حملة الشهادة دى .

وضحك محمد محمود خليل بك طويلا — وقلما يضحك — وربت على كتفى وهو يقول :

— كويسة خالص .. تستاهل عليها نص فرنك ..

واستدرك قائلا :

— نص فرنك فرنساوى . .

والفرنك الفرنسى كما هو معروف يعادل المليم المصرى . . واستطرد محمد محمود خليل كلامه معى :

— ليه ما تجيش تاخد حديث منى . والا يعنى كلامى دلوقت بقى خردة علشان ما نيش فى الحكم .. تعالى عندى فى لوكاندة الكونتنتال .. ما انا واخد جناح دائم فيها هناك .. جناح كبير .. تعالى أعطى لك حديث تمام ..

وجاء الأستاذ محمد رياض الملحق بالوفد المصرى يحيى محدثى فقال لى :

— عن إذنك لما أتكلم بقى مع الشباب اللى زيى ..

وأقبل الدكتور حامد سلطان عضو الوفد المصرى ووقف معنا .. وامتد الحديث إلى المقارنة بين اتلى وتشرشل . وقال الدكتور سلطان :

— المناسبة سمعت نكتة لطيفة عن الرجلين وقعت خلال الانتخابات البريطانية الأخيرة .. كانت النتائج الأولى للانتخابات قد ظهرت ولم تك بعد ترجح فوز أحد الفريقين ، وحدث أن التقى صديقان انجليزيان أحدهما من العمال والآخر من المحافظين فقال الأول للثانى « أؤكد لك أنه فى ليلة الغد سيكون المستر اتلى نائما فى الفراش فى ١٠ دوانتج ستريت (مقر رئيس الوزارة البريطانية) وأجابه الثانى على الفور «سيكون نائما فعلا هناك .. ولكن فى أحضان مستر تشرشل؟!»

وجلس أحمد بك ثروت سفير مصر فى فرنسا مع مدم شارل رو إلى إحدى

الموائد يحدثها عن برد باريس القارس السابق لأوانه هذا العام وقالت له ضاحكة :

— لعله بكر فى المجىء ليستقبل أعضاء الأمم المتحدة ويعطل حناجرهم عن الخطابة الجوفاء العقيمة التى يلعبوا بها بسلام العالم وأمنه . .

ووصل الدكتور صلاح الدين باشا ، واستقبله الجميع بالتصفيق الحار ، وتقدمت إليه « مدام تابوى » الصحفية الفرنسية الكبيرة تشد على يديه وتقول له فى صوت عال :

— هذه أول مرة ألقاك .. وطالما وددت هـذا اللقاء . . وفى مثل سنى هذه لا تسعى المرأة إلا للقاء رجل عظيم عام يشرف مشيبها لقاءه . .

وابتسم صلاح الدين فى حياء وخجل وأجابها :

— لقد أوليتينى شرفا عظيما .. ما صنعت إلا الواجب نحو بلادى ..

وأجابت الصحفية الكبيرة :

— ومن فى عالم اليوم الذرى يعرف واجبه ويؤديه مثلما عرفت وأديت ؟ ..

ومضت تطرى صنيع وزيرنا الشاب البطل .. ثم أخذ صلاح الدين يتنقل فى المكان ويتحدث إلى كل واحد فيه .. والحديث موضوعه دائما واحد لا يتغير مصر ومجد مصر ومستقبلها العظيم ... وشرب الجميع نخبه . أمسكوا كلهم بكأس من الشمبانيا وأمسك هو وحده بكوب من عصير البرتقال .. وصلاح الدين لم يدخن ولم يذق الخمر أبداً فى حياته ؟



الدكتور صلاح الدين باشا بين مدام شارل رو ومحمد محمود خليل بك

حديث . . وفول مدمس . . وكِبَّة نيَّه . .

مع عزام باشا . .

كان عبد الرحمن باشا عزام جالساً فى صالونه الخاص بفندق البرنس دى جال مع بعض الطلبة السنغاليين الذين يدرسون فى باريس . . وكانت الساعة التاسعة مساء . . وكان ما زال فى دور النقه من المرض الذى استقبله به برد باريس القارس الموجع هذا الشتاء . . وحتى فى أيام مرضه لم يك صالونه يخلو من الرواد من مسلمى العالم كله الذين يتوافدون لتحية أمين الجامعة العربية ويستمعون لحديثه الشيق الحافل فلا ينفض عقد مجلسه معهم حتى ينتصف الليل . . فيتركهم إلى عشائه الخفيف . . ثم يخلو إلى كتاب يمضى فى قراءته حتى ساعة متأخرة من الليل . وينام نوما خاطفاً ليصحو مع الفجر للصلاة . . ثم يعود للنوم حتى تحين ساعة ذهابه للأمم المتحدة أو لاجتماع من اجتماعات العرب أو دعوة لمأدبة أو زيارة لشخصية من شخصيات المجتمع الدولى التى تسعى لصداقته وكسب وده . أما باريس فلم يرها عزام باشا بعد . . ولا أظنه واجد أبداً ساعة يمنحها لرؤية عروس عواصم العالم الفاتنة الساحرة فى قديمها وحديثها .

واستقبلنى عزام باشا بحفاوته التقليدية الرائعة . . حفاوة مشائخ العرب . . وقدم إلىّ الطلبة السنغاليين وقدمنى إليهم . . وقلت له :

— دائماً صالونك لا يخلو يا باشا ؟ !

— تمام . . زى مصطبة العمدة . . أنا لا أرد أبداً طلبا لمقابلتى . . العالم كله دلوقت بيتحدث عنا وبيتطلع إلينا . . وكل ما أقابل واحد جديد فى أى مكان فى العالم وأحدثه عن مصر وعن العرب كل ما أحس بأنى كسبت صوت جديد ينصر قضايا مصر والعرب . . تصور إن اخواننا السنغاليين دول جايباهم الحكومة الفرنسية هنا فى باريس علشان يدرسوا الدين الإسلامى . بالذمة

دى موش نكتة كبيرة . . بقى لهم سنين هنا لم يستفدوا شيئاً فيها . . ولما علموا بقدومى جم يوسطونى فى قبولهم بالأزهر فى طريق عودتهم لبلادهم ليدرسوا الدين الإسلامى على أصوله وفى بيئته . وقد وعدتهم بتمهيد السبيل لهم هناك . . أهم دول راح يكونوا قطعا رسلنا وألسنتنا فى بلادهم .

— إن ما نراه الآن فى الجو الدولى من تفاهم وتقارب بين الشعوب الإسلامية فى أقصى بلاد العالم وأدناها ليبشر بتطور الجامعة العربية قريبا إلى جامعة إسلامية ؟

— هذا ما سيكون . . إن الشرق يطل الآن على العالم . . بعد أن خلع حجابه القديم وأسفر وجهه عن مجده التليد وحضارته الخالدة .

وجاء الأستاذ وحيد بهادر سكرتير عزام باشا بخطاب إليه . . وفضه الباشا وابتسم وقال وهو يمسك بصورة فوتوغرافية صغيرة :

— هذا الخطاب من ابنتى « منى » . . عمرها ٨ سنين . . وتدرس فى كلية البنات بالزمالك . . فى كل يوم ترسل لنا خطابا ومع كل خطاب صورة جديدة لها وهذه كلها صورها . .

وأشار إلى صف طويل من صور « منى » موضوع على مائدة مع صورتين كبيرتين للرئيس بيرون رئيس جمهورية الأرجنتين والسيدة قرينته « إيفا بيرون » وتحدث عن الصورتين الكبيرتين . . فقال أنه قد جاءه بهما « السيد ملاتيوس الخورى » رئيس « إدارة الثقافة العربية » التى أنشأتها حديثاً حكومة الأرجنتين ومندوب الرئيس بيرون فى العالم العربى الذى أوفده لإنشاء علاقات ثقافية مع دول العالم العربى كبداية لمشاركة الأرجنتين هذه الدول فى أمانيها واتجاهاتها ، وكحجر أساس لعلاقات أخرى اجتماعية وسياسية فى المستقبل . . وقام عزام باشا يرينى الصورتين وهو يقول :

— أرأيت إذا كيف نطل على العالم اليوم من أوسع وأبرز النوافذ . .

وقرأت على صورة الرئيس بيرون الاهداء الآتى : « لمعالى عبد الرحمن عزام باشا سكرتير الجامعة العربية المجيدة أقدم رسم فخامة رئيس الجمهورية الأرجنتينية الجنرال خوان بيرون كذكرى للرغبة فى توطيد العلائق الولائية

والتبادل الثقافى بين العالم العربى والأرجنتين فى سبيل العمل على ضمانة السلام العالمى — ملاتيوس الخورى مندوب حكومة الأرجنتين الثقافى فى العالم العربى » .

وقرأت على الصورة الأخرى . . صورة إيفا بيرون بنفس التوقيع الاهداء الآتى : « لمعالى سكرتير جامعة الدول العربية عبد الرحمن عزام باشا أقدم رسم السيدة إيفا بيرون حاملة لواء مدنية جديدة تظهر طلائعها فى الأرجنتين وكتحية تقدير وإخلاص وإعجاب للمرأة العربية الممتازة رمز الفضيلة وعماد العائلة فى مدنية المستقبل وكذكرى قرب صدور كتابها « غاية حياتى » باللغة العربية » .

وقال عزام باشا :

— لقد شاءت السيدة إيفا بيرون أن تكرم علاقات الأرجنتين الجديدة بالعرب فأهدت إليهم كتابها الجديد « غاية حياتى » بلغتهم . .

واستأذن الضيوف السنغاليين فى الإنصراف وودعهم عزام باشا قائلا لهم :

— أنا فى انتظاركم . . أى ساعة تشرفونى تجدونى . .

وانفردنا فى الصالون . . ووجدتها فرصة لاستجواب أمين الجامعة العربية فمضيت أسأله وهو يجيب . . ويفيض فى الإجابة . . وخيل إلى أننى أمام دائرة معارف كاملة معجزة . . وفجأة سكت عزام باشا لحظة ثم قال :

— لقد شغلنا الحديث عن العشاء . . إننى أدعوك لمائدتى الليلة . . وعندى لك مفاجأة . .

وخرجت معه فى سيارته . . وسارت بنا من الشانزلزيه إلى الحى اللاتينى . وهناك كانت المفاجأة . . دخلنا مطعما لبنانيا لطيفا اسمه « مطعم أرز لبنان » . . وتقدم إلينا صاحبه « فريد » محييا مرحبا . . وطلب عزام باشا أولا الفول المدمس بالزيت والبصل . . ثم الكبة النية وقال :

— لقد تعودت على هذه الكبة النية منذ كنت أسكن فى الزمالك وكان جارى المرحوم أنطون الجميل باشا وقد اعتاد من يوم لآخر إهدائى صحناً منها . .

وكانت أكلة دسمة عنيفة شاء عزام باشا أن يحتاط لى معه منها قبل انصرافنا بشرب زجاجة كبيرة من « البرييه » . . .

موقعة بين صلاح الدين والطلبة المصريين فى باريس

نعم كانت موقعة بين صلاح الدين والطلبة المصريين فى باريس . . . موقعة خطابة ونقاش حامى وجدال عنيف . . وكان الخطيب صلاح الدين . . وكان النقاش والجدال من جانب الطلبة المصريين فى باريس . . وكان موضوع الخطابة سياسة الحكومة الخارجية والداخلية ، وكان الطلبة متناهين فى الجرأة مندفعين ثائرين . . وكان صلاح الدين هادئاً مقنعاً قوى الحجة . . واستمرت موقعة مكتب البعثة المصرية فى باريس ساعتان . . وانتصر صلاح الدين ولم تك قوة حجته وإقناعه ومنطقة أسلحته الماضية وحدها بقدر ما كان شبابه . . . فليس أقدر على مواجهة الشباب من الشباب . .

فى الأسبوع الثانى لوصول معالى صلاح الدين باشا إلى باريس على رأس الوفد المصرى فى الأمم المتحدة أقام للطلبة المصريين فى باريس حفلة تكريم . . وشاء الطلبة أخيراً أن يردوا التكريم فأقاموا له حفلة تكريم فى مقر البعثة المصرية بالطابق الثالث بالسفارة المصرية فى باريس . .

ودخل صلاح الدين مكتب الديوانى بك مدير البعثة وكان فى انتظاره هو وأحمد بك ثروت سفير مصر فى فرنسا وقال له الديوانى بك :

— الليلة دى الشباب بيكرم الشباب . .

فأجابه صلاح الدين باشا :

— ما خلاص يا ديوانى بك بقينا منكم . .

ووقف صلاح الدين وسط الطلبة يشرب الشاى معهم .. وتزاحموا عليه كل منهم يقدم إليه طبق حلوى أو كوب عصير برتقال فقال لهم :

— أنتم عاوزين تملأوا بطنى علشان تلكمونى وما تخلونيش أعرف أتكلم معاكم ؟ !

ورأى أحد الطلبة السودانيين من أعضاء البعثة المصرية واقفاً بعيداً فناداه وقال له :

— تعالى هنا يا أخى جنبى . . موش لازم السودان يبعد عننا أبداً . .

وتقدمت إليه الطالبات المصريات يرجون أن يسمح لهن بالتقاط صورة تذكارية معه فقال لهن :

— بس كده . . ومين يقدر يعصى أوامر الجنس اللطيف .

وكان بعض الطلبة ينفردون به ويسألونه ويستوضحونه فى أمور وخفايا سياسية دقيقة فكان يجيبهم بقدر ماتسمح الأوضاع والظروف وهو يقول لهم :

— من حقكم أن تعرفوا كل شىء .. فأنتم الذين ستستلمون الرسالة منا .

وبعد الشاى انتقل الوزير مع الطلبة إلى الردهة الكبيرة فى مكتب البعثات ورآهم قد أعدوا له « فوتيل » مريح كبير فأبى أن يجلس عليه وأراد أن يرفعه من مكانه فأصروا على أن يجلس عليه فقال لهم :

— أمركم ..

وجلس . . ووقف الديوانى بك فألقى كلمة رحب فيها بالوزير وذكره بأيام دراسته فى باريس وقال يخاطب الطلبة :

— من عشرين سنة كان صلاح الدين باشا هنا طالب زيكم يستمتع بجميع مزايا الشباب ..

وقاطعه الوزير وهو يضحك مع الطلبة بقوله :

— موش كلها يا ديوانى بك ؟ !

واستدرك الديوانى بك قائلا :

— أنا أقصد القوة والصحة والوطنية والجد فى الدراسة . .. . آدى مزايا الشباب . .

وقال الوزير :

— أيوه كده أحسن يفتكروا حاجة تانية ..

ووجـه الدايوانى بك نصيحة للطلبة بأن يتفرغوا لدروسهم وعلومهم ويتركوا السياسة للساسة والحـكام وقال :

— السنة اللى فاتت لما كان النحاس باشا هنا فى باريس جونى الطلبة المصريين وقالوا لى إنهم عاوزين يروحوا لوكاندة « جورج سانك » علشان يحيوا النحاس باشا فقلت لهم « لأ ماتروحوش . ده موش شغلكم » . ورحت للنحاس باشا وقلت له عن اللى حصل فقال لى « تمام .. ده أنت بتقول درر » ..

وبعد الديوانى بك وقف أحد الطلبة « على درويش » وألقى كلمتهم .. ثم جاء دور الوزير ليتكلم .. وبدأ كلامه بقوله :

— لم آت إلى هنا على أساس التكريم لأننى لا أحب التكريم ، وأنا لم أقم إلا بواجب مفروض على . . وإنما جئت لأجتمع بكم ، وأنا أحب دائماً الاجتماع بالشباب . فنحن الذين تجاوزنا مرحلة الشباب نتمحك دائماً بالشباب . عاد بنا الديوانى بك إلى ذكريات عشرين سنة مضت ، وقد خفت عندما قال لكم أننى كنت هنا شابا مثلكم أتمتع بكل متاع الشباب أن تظنوا بى الظنون ، ولكن الديوانى بك استدرك وفسر عبارته وأرجو أن يكون هذا هو النحو الذى يفسر به كل منكم هذه العبارة .. إن الشباب قوة دافقة يجب أن ينتفع بها الوطن ولكن بعد أن تنتهوا من دروسكم وتحصيلكم .. وأنا لم أعالج قضية مصر بحماس الشباب فقط بل بالدراسة والقراءة والتجارب .. واحنا اتفقنا فى الحفلة اللى فاتت اللى اجتمعنا فيها على إنكم تنصرفوا للدراسة والتحصيل بس .. والنهارده وصلتنى نشرتكم اللى وجهتموها للضمير العالمى فأرجو ألا يكون أعداد هذه النشرة وتوزيعها قد أخذ شيئاً من وقتكم .

وكان الوزير موشكا على المضى فى الحديث عندما بدأت الموقعة فاقتحم صفوف الطلبة واحد منهم وقال للوزير فى لهجة احتجاج :

— إنما احنا بنعمل دعاية لمصر .

وفى هدوء أجابه :

— قطعت على سلسلة تفكيرى يا أخى .. احنا صحيح محتاجين للدعاية ، ولدعاية كبيرة جدا .. وأنتم وسائلكم ومواردكم محدودة جدا يا دوبك على قد معيشتكم .. كفاية دعاية مشرفة لمصر ظهوركم فى معاهد فرنسا بمظهر الجد فى الدرس والتزامكم الخلق السليم الرفيع .. دى الدعاية اللى احنا عاوزينها منكم .

وارتفعت عدة أصوات تحرج الوزير بأسئلة دقيقة . . وبدأ يجيب قائلا :

— أنا راح أقول لكم مايمكن التصريح به دلوقت . . وأنا مسرور اللى بأكلمكم الليلة ، ولو ما اتسعش الوقت آجى لكم مرة ثانية . . اسمعوا كويس اللى راح أقوله لكم . .

وقاطعه طالب من المتحمسين المندفعين بقوله :

— اللى احنا عاوزينه والشعب المصرى كله عاوزه .

ولأول مرة أرى صلاح الدين يزايله هدوءه ويجيب مقاطعا السائل وقد بح صوته بحة الغضب :

— إن كان كده ما ينفعش .. أنتم راح تضغطوا على حريق ، وأنا ماأرضاش أبداً بالضغط على حريق . . فى مرة إخوانكم فى مصر جونى فى وزارة الخارجية متحمسين وقالوا لى الشعب عاوز ... فقلت لهم «إرادة الشعب لها طريق آخر ، إنما وزير الخارجية عنده سياسة مسئول عنها فاتركوه لها » .

وعاد نفس الطالب يقاطع :

— إحنا بعيد عن بلادنا . . وعاوزين نطمئن .

وابتسم الوزير وقال له :

— بس لو كنتش تقاطع ؟.

وتدخل الديوانى بك يطلب من الطلبة أن يستمعوا فقط للوزير ولا يوجهوا له أسئلة فاعترض الوزير قائلا له :

— سيبهم يا ديوانى بك أحسن يفتكروا إنى مش قادر عليهم . . . يظهر اللى بيقاطعونى عاوزين يوجهونى فى الحديث لأنهم شايفين كلامى فارغ .

وران الصمت ووقف الطلاب جميعا وكان على رؤوسهم الطير .. وكان صمتهم أبلغ اعتذار منهم للوزير..وانتصاراً له فى الموقعة .. وتحدث كما شاء .. واستحوذ على الأسماع والمشاعر .. وانتهى من حديثه ، وقال للطلبة :

— أشكركم .. وأخص بالشكر من قاطعنى منكم ..

ودوت القاعة بالتصفيق المدوى المرعد .. وتقدم الطلبة يريدون حمل صلاح الدين فوق أكتافهم فأبى وقال لهم ضاحكا :

— هو أنا عدت أطمئن لكم .. أحسن توقعونى ؟!

مؤتمر السفراء فى باريس . . .

يوم أذاعت سكرتارية الوفد المصرى فى الأمم المتحدة فى باريس نبأ الدعوة التى وجهها معالى الدكتور محمد صلاح الدين باشا رئيس الوفد ووزير الخارجية المصرية إلى السفراء والوزراء المفوضين المصريين لدى حكومات الدول الأوروبية للاجتماع معه فى باريس فى مؤتمر يستمر حتى الأسبوع الأول من يناير نشرت الصحف الفرنسية النبأ ضائعا فى صفحاتها الداخلية فى بضعة سطور معلقة عليه بأن هذا النوع من المؤتمرات بدعة فى الدبلوماسية ابتدعها وزير الخارجية المصرية فى العام الماضى حيث عقد نفس المؤتمر وهو فى طريقه إلى نيويورك على رأس الوفد المصرى وكررها هذا العام . . ولكن فى صباح اليوم التالى لأولى جلسات المؤتمر الذى انعقد فى دار السفارة المصرية فى باريس أفردت هذه الصحف لأنباء المؤتمر ركنا كبيراً من صفحتها الأولى وأفاضت فى سرد أنبائه . . قالت إحداها أن الوزير قصد بهذا المؤتمر جس نبض دول أوربا المختلفة وتبين حقيقة اتجاهات حكوماتها حيال مصر . . وقالت أخرى أن المؤتمر يمهد لعقد مصر لمحالفات سياسية واقتصادية مع الكتلة الشرقية ، وقالت غيرها إن أهم مسألة بحثها المؤتمر هى مسألة تزويد مصر بما يلزمها من أسلحة ومدى استعداد دول أوربا المختلفة لتزويدنا بها . . وقالت أخرى إن أهم مسألة بحثها مؤتمر السفراء المصريين هى تحديد الدول التى تستطيع مصر أن تعقد معها محالفات اقتصادية .

وبعد الجلسة الأولى هذه سألت معالى الدكتور محمد صلاح الدين باشا :

— ماذا دار فى المؤتمر ؟

فأجاب :

— لا شىء ... هذه أول جلسة ... كانت لمجرد الترحيب بمقدم السفراء ... شبه اجتماع عائلى ...

قلت :

— ما هى المواضيع التى سيبحثها المؤتمر ؟

— إن الوزراء فى مصر يجتمعون بكبار رجال وزاراتهم فى كل يوم مرة أو مرات ولا تتساءلون عن سر هذه الاجتماعات فهل إذا سنحت الفرصة لوزير الخارجية أن يجتمع مرة واحدة بالسفراء والوزراء المفوضين يكون مجال التساؤل ومثار الاهتمام .

إن الظروف الحاضرة وحدها هى السبب ... ولو تم مثل هذا المؤتمر فى الأوقات العادية لسهل على كل صحفى أن ينسبه للروتين .

وابتسم صلاح الدين باشا ابتسامة عريضة وقال :

— طيب ياسى رفعت ... بكرة يمكن أقدر أقول لك حاجة عن المؤتمر بعد الجلسة الثانية .

والتقيت بأنيس بك عازر وزيرنا المفوض فى موسكو وسألته :

— هل فى الجو فعلا مشروع معاهدة مع روسيا ؟

فابتسم وأجاب :

— أنتم غاويين معاهدات ...

— ولكن ...

— اسمح لى أن أقاطعك ... انت عارف إننا ممنوعين من الكلام فى السياسة والا لأ ...

— ده موش سؤال سياسى ... أنا كنت راح أسألك عن الحياة فى موسكو؟

وأخرج أنيس بك من جيبه كتيبا صغيرا عن موسكو وأعطاه لى قائلا :

— خذ ... ده فيه كل حاجة عاوزها عن موسكو ...

وانصرف ... ورأيت عبد العزيز بك بدر سفيرنا فى رومة مقبلا فسألته :

— إزاى الحال ... أيه الأخبار يا سعادة السفير ؟

— برد زى ما انت شايف ... الجو فى روما أحسن ...

— الجو السياسى ؟

— اللى تحسبه .

ورآنى صلاح الدين باشا أحادث السفراء فنادانى قائلا :

— إبعد عنهم .. عاوز منهم إيه ؟

— والا حاجة ... ده مجرد ترحيب بقدومهم ...

وضحك صلاح الدين باشا لاستعارتى جوابه على أول سؤال ألقيته عليه ...

وفى مساء اليوم التالى بعد أن انتهت جلسة المؤتمر الثانية ... وجدنى صلاح الدين باشا فى الانتظار فى الردهة فى الطابق الأول بالسفارة المصرية فى باريس وهو خارج مع السفراء والوزراء المفوضين من غرفة السفير حيث يعقد المؤتمر جلساته فسألنى :

— إيه . . خير ياسى رفعت ؟

وذكرته بوعده لى بالأمس فابتسم وأجاب :

— ما فيش حاجة ... جلسة النهاردة امتداد لجلسة امبارح ...

قلت :

— وما رأيك فيما كتبته الصحف الفرنسية صباح اليوم ؟

— كتبت ايه ؟

وأخذت أسرد على الوزير ما ذكرته هـــذه الصحف وسألته عن مدى صحتها فأجاب :

— قد يكون بعضها صحيح ...

— أيها ؟

— لا أستطيع التحديد فى الوقت الحاضر ...

ولم أظفر من الوزير بأكثر من ذلك ...

الوفود العربية على مائدة الكسكسى ؟!

فى باريس ، وفى قلب الحى اللاتينى مطعم عربى قديم أنشىء منذ ٢٨ عاما اسمه « الكتبية » نسبة إلى جامع مشهور فى مراكش .. وصاحب هذا المطعم « السيد عبد القادر بن محمد شرادى » مراكشى وإن كان هو لا يرتدى الملابس المراكشية فى مطعمه بل يرتدى الملابس الافرنجية ويضع على رأسه الطربوش المصرى فإن عمال محله والمغنى والراقصة وأعضاء تختها يرتدون الملابس المراكشية .. وقد حرص على أن يجعل نظام بناء محله على طراز ذلك الجامع المراكشى المشهور « الكتبية » .. وشهرة هذا المطعم ليست فى غناء مغنيه أو رقص راقصته على الطريقة العربية فإن مستواهما من مستوى مغنى الموالد ورقص الغوازى فى مصر .. وإنما شهرة الكتبية قائمة على صحن « الكسكسى » الذى يقدمه لرواده .. ويتفنن فى تصنيف هذا الصحن ويخلطه بعدة مواد تزيده نكهة ولذة يحتفظ بسرها لنفسه ..

وفى باريس جريدة عربية اسمها « العرب » يصدرها السائح العراقى الأستاذ يونس بحرى صاحب إذاعات حى العرب المشهورة من راديو برلين خلال الحرب العالمية الثانية .. ويتولى بواسطتها الدعاية الطيبة للعرب وقضايا الدول العربية .. وقد دخلت هذه الجريدة فى سنتها السادسة هذا الأسبوع وشاء صاحبها أن يحتفل بهذه المناسبة فدعا الوفود العربية إلى عشاء أقامه لهم فى « الكتبية » أساسه صحن الكسكسى المشهور به .. ولبى الجميع الدعوة ، وحضروا المأدبة .. وعاق معالى الدكتور محمد صلاح الدين باشا عن المجىء قيام مظاهرات ضخمة من الشيوعيين سدت الطرقات وقامت لمواجهتها جميع قوات بوليس باريس ، وكان سبب هذه المظاهرات زيارة إديناور رئيس حكومة ألمانيا الغربية لباريس ، وسبب المظاهرة الاحتجاج على السماح لألمانيا بإعادة

تسليحها .. كان مستحيلا على سيارة الدكتور صلاح الدين باشا أن تشق طريقها وسط هذه المظاهرات فلم يك لمعاليه حظ تناول صحن الكسكسي المشهور ..

وكان بطل الحفلة المطرب الأستاذ محمد عبد الوهاب .. لا فى الطرب والغناء بل فى « الدباغة » فقد أتى أولا على صحنين من الكسكسى ثم شارك معالى شارل بك الحلو وزير خارجية لبنان ورئيس وفدها فى الأمم المتحدة صحنه .. وعبد الوهاب دباغ يشار إليه بالبنان فى كل مكان .. ولما انتهى من الكسكسى صاح فى الداعى يونس بحرى :

— خلاث الهور ديفر يايونث .. هات الأكل بقى ..

ولمعلومية القراء أقول أن فى كل صحن كسكسى فرخة كاملة .. وقال له الأستاذ عبد المجيد رمضان المستشار بالسفارة المصرية :

— إن فضلت نفسك مفتوحة بالشكل ده يا أستاذ عبد الوهاب راح نرحلك على مصر لتعمل أزمة تموين هنا ..

وأثار وجود على بك شوقى الوزير المفوض بالسفارة المصرية فى باريس ونجل المغفور له احمد بك شوقى أمير الشعراء الراحل الخالد مع وجود الأستاذ محمد عبد الوهاب .. أثار وجودهما بين الحاضرين ذكريات الشاعر العظيم ، وقال السيد خليل تقى الدين عضو الوفد اللبنانى وهو من أدباء وشعراء العصر المبرزين :

— كانت مصر عاوزة شوقى فى الوقت ده .

وأضاف الدكتور رشاد فرعون رئيس الوفد العربى السورى :

— كانت العرب كلها عاوزاه .

وقال فاضل بك جمال رئيس الوفد العراقى :

— ما علينا إلا أن نرجع الى شعره .. إنه صالح لكل عصر وكل أوان وكأنما كان يتنبأ فيه بما هو كائن وما سيكون ..

وروى الأستاذ عبد الوهاب أنه يوم ذهب الى بغداد ليغنى قصيدة شوقى بك

المشهورة التى مدح بها المغفور له الملك فيصل الأول « يا شراعا وراء دجلة يجرى » .. لم تعجبه بغداد ولم يعجبه أهلها وضاق ذرعا بالإقامة فيها ، وحدث أن التقى فى حفلة عامة بشاب تصادف وقوفه الى جانبه فحياه وسأله عبد الوهاب :

— حضرتك من هنا وإلا غريب ؟

فأجابه الشاب :

— اللى تحسبه .. زيى زيك ..

— يعنى غريب .. تعالى بقى لما أشكى لك همى .. البلد دى كيت وكيت .. وأهلها كيت وكيت ..

واندفع عبد الوهاب يسب ويلعن ما وسع لسانه السب واللعن حتى نفس عما كان فى صدره من ضيق . واستمع إليه الشاب وهو يبتسم وعبد الوهاب يظن ابتسامته موافقة له .. ثم استأذن ليحدث بعض الواقفين بعيداً ..

ولم يلبث أن جاء الى عبد الوهاب أحد رجال التشريفات فى قصر الملك فيصل وقال لعبد الوهاب :

— كان بيقول لك إيه سمو الأمير ؟

— سمو الأمير ؟ !

— أيوه اللى كان واقف معاك دلوقت .. سمو الأمير غازى ولى العهد ...

— عال ؟ ! .. رحنا فى داهية ..

وأسرع عبد الوهاب إلى الأمير غازى يعتذر له فربت على كتفه وهمس فى أذنه قائلا :

— ما تخافش .. نفس الكلام ده أنا بأقوله ..

ووقف الأستاذ مختار البخشونجى عضو بعثة دكتوراه الدولة المصرية وعمدة الحى اللاتينى فى باريس ليلقى كلمة ، وقدمه الأستاذ يونس بحرى بلقبه « عمدة الحى اللاتينى » فقال السيد احمد الداعوق وزير لبنان المفوض فى باريس :

— ده لازم عمدة بالوزن ..

مشيراً الى ضخامة وزن الأستاذ مختار الذى يتجاوز المائة وعشرين كيلو جراما .. واندفع العمدة فى الخطابة وتحمس لمصر تحمساً أثار الإعجاب فقال السيد جميل مكاوى عضو الوفد اللبنانى :

— ده الكسكسى ده مفعوله عجيب .. شوفوا الرجل بيتكلم إزاى ؟ !

وقال السيد احمد الداعوق :

— على كده كل واحد منا يقوم يخطب .

فاعترض السيد جميل مكاوى عضو الوفد اللبنانى بقوله :

— لأ .. أحسن نهضم الأكل ونبقى ما غرمناش يونس بحرى حاجة ..

وانتهى الأستاذ مختار من خطبته الحماسية والتفت إليه الأستاذ عبد المجيد رمضان وقال له :

— ده أحسن رجيم تمشى عليه يا أستاذ مختار .. تخطب لك كل ساعة .. تخس النصف ..

وكان السيد اسماعيل الجرافى عضو الوفد اليمنى جالساً طول الوقت لايتحدث بكلمة فقال له السيد جميل مكاوى :

— انت ساكت ليه يا سيد اسماعيل .. وإلا جاى « مدعومستمع » بس ؟ !

وقال الدكتور رشاد فرعون للأستاذ يونس بحرى وهو يعانقه مودعا :

— عقبال السنة السابعة للعرب يا يونس .. ولو إنى أقترح عليك أن تحتفل بها كل شهر ..

حفلة عائلية للوفد المصرى فى باريس

قبل أن يسافر معالى الدكتور محمد صلاح الدين باشا من باريس إلى رومة شاء أن يجتمع بجميع المصريين المقيمين فى باريس فى حفلة عائلية بفندق البرنس دى جال .. حفلة شاى .. دعا اليها أعضاء الوفد المصرى فى الأمم المتحدة وسكرتارييه .. ورجال السفارة المصرية فى باريس . والموظفين والطلبة المصريين والصحفيين المصريين . . . ودعا معهم جميعا عقيلاتهم . . . ودعا أعضاء الوفدين السودانيين ممثلى الأحزاب الاتحادية وممثلى حزب الأمة . . . وحرص معاليه على أن يستقبلهم واحداً واحداً ويدعوهم إلى البوفيه قائلا لهم :

— اتفضلوا على البوفيه .. انتم فى بيتكم الليلة ..

وكان البوفيه خاليا من المشروبات الروحية . . . لا شىء إلا عصير الطماطم والفواكه . وعلق على ذلك محمد على صادق باشا خال جلالة الملكة وسفير مصر فى هولندة بقوله :

— أيوه كده الواحد يحس إنه فى بيته صحيح .

وكانت هذه أول حفلة تحضرها السيدة حرم معالى صلاح الدين باشا إذ وصلت إلى باريس فى الليلة السابقة وكانت تجلس إلى مائدة مع بعض قرينات السفراء والوزراء المفوضين المقيمين فى باريس لمؤتمر السفراء . . . ولما أردت التقاط صورة لهن قالت لى السيدة حرم الوزير :

— والله زمان من ايام ليك سكسس .. وحشتنا صورك ..

والتقطت الصورة ، وإذا بالسيدة حرم محمود بك فوزى تقدم لى طبقاً مملوءاً بالحلوى وتقول :

— لما أحلى لك بقك بقى حق الصورة .

وفى أحد الأركان انفردت السيدات قرينة على بك شوقى الوزير المفوض بالسفارة المصرية فى باريس وحرم عبد اللطيف بك الحناوى القنصل المصرى العام فى باريس وحرم حسين بك شريف الملحق العسكرى بالسفارة وحرم الأستاذ اسماعيل مظلوم الملحق بالسفارة ، فلما تقدمت لتصويرهن قال لى على بك شوقى :

— تقدر تقول عليهم انهم عاملين مؤتمر محلى للسفيرات .. على الضيق . . .
وأضاف عبد اللطيف بك الحناوى :

— وإن كانت قراراتهم ماخدش راح ينفذها غيرنا .

وجلس معالى صلاح الدين باشا معظم الوقت مع الوفدين السودانيين ...
وحدث أن سألت عنه السيدة قرينته سعادة محمود بك فوزى فقال لها :

— فى السودان يا افندم .

وكان بين المدعوين النبيل عباس حليم قدم إلى جنيف يومين ثم باريس يومين ثم يعود إلى مصر ، ولما أخبرنى بذلك قلت له :

— أبمثل هذه السرعة السفر والعودة ؟

فأجابنى :

— وهل تريدنى أن أتحرك بسرعة السلحفاة فى عصر الطائرة .

قلت :

— وما موضوع الرحلة ؟

— ما أقولكش .. كفاية اللى جرى لى منكم .

وانفرد عبد الرحمن عزام باشا طويلا بعدلى بك أندراوس سفير مصر فى اليونان فلما تقدمت إليهما أستوضح قال لى عزام باشا :



فى حفلة صلاح الدين باشا العائلية وقف عبد الرحمن عزام باشا يتحادث مع الدكتور رالف بانش رئيس مجلس الوصاية بهيئة الأمم حديثا خطيرا ووقف فارس بك الخورى والمؤلف يستمعان ويتحفزان الاشتراك فى الحديث بدورهما .

— أنا كنت باستعلم من عدلى بك عن اليونان وأحوالها دلوقت .

وابتسم عدلى بك وأضاف :

— أصل الباشا عاوز يضمها للجامعه العربية .

وكان مقدراً أن تبدأ الحفلة فى منتصف السابعة وتنتهى فى الثامنة . . . ولكنها امتدت حتى الحادية عشرة مساء .. وقال الوزير :

— والله القعدة حليت .

ولم تنته الحفلة إلا عند ما دقت ساعة ردهة فندق البرنس دى جال الكبيرة مؤذنة بانتصاف الليل ؟

نخب مصر عصير البرتقال

كانت هذه الحفلة التى أقامها معالى الدكتور محمد صلاح الدين باشا قبل سفره إلى رومة آخر حفلات هيئة الأمم التى أقيمت قبل عطلة الأعياد . . أقامها رئيس وفد مصر تكريماً لرؤساء الوفود . .

وكان « المسيو فيشنسكى » رئيس الوفد الروسى مدعواً . . ولم يحضر فى بداية الحفلة . . فقد كان فى حفلة الوفد اليوغوسلافى التى اتفق إقامتها فى عصر نفس اليوم وتأخر فى هذه الحفلة التى امتدت وطالت . . وكانت الساعة قد بلغت منتصف التاسعة أو كادت عند ما تذكر فيشنسكى الحفلة المصرية ونظر فى ساعته ثم فى تذكرة الدعوة فوجد أن الحفلة ما بين منتصف السابعة ومنتصف التاسعة . . واتصل من فوره بالتليفون يسأل فى البرنس دى جال حيث أقيمت الحفلة المصرية فقيل له إن الحفلة ما زالت ممتدة فأسرع بسيارته ومعه سفير روسيا فى باريس إلى البرنس دى جال . . ولم يك هناك غير صلاح الدين باشا وعزام باشا والدكتور حامد سلطان . . وتقدم مسيو فيشنسكى فحياهم وقال إنه جاء خصيصاً لأنه حريص على أن يشرب نخب مصر . . وسأله صلاح الدين باشا عن المشروب الذى يفضله قائلا :

— ماذا تفضل . . فودكا . .

فقال المسيو فيشنسكى :

— المشروب الذى تفضله أنت .

فأجاب صلاح الدين باشا :

— معذرة إذا كنت لا أشرب الخمر . . سأشرب عصير البرتقال .

وقال فيشنسكى :

— هل عصير البرتقال من مشروباتكم المصرية .

— نعم .

— إذاً فلأشرب معك عصير البرتقال .. أريد أن أشرب معك نخباً مصريا ..

وشرب الجميع نخب مصر . . عصير البرتقال . . ثم دار حديث طويل بين الوزيرين على حدة ، ثم انضم إليهما عزام باشا . . وتقدمت إليهم أتحرى مجرى الحديث . . فقال لى فيشنسكى :

— يكفيك أن تلحظنا من بعيد لتفهم حديثنا .. ألا ترى الضحك لا يفارق شفاهنا ..

وحضرت الحفلة لأول مرة سيدتان مصريتان .. أولاهما حرم عبد الرحمن باشا عزام .. وهذه أول مرة تظهر فيها فى حفلة رسمية .. وظفرت بصورة لها ، وكانت تأبى التصوير من قبل وكنت قد طلبت منها صورة من أيام سابقة فاعتذرت .. قلت :

— إذن سأسرق صورة . .

فابتسمت وقالت :

— إن استطعت ..

فلما التقطت لها الصورة قالت لى وهى تضحك :

— آه يا حرامى ..

وكانت تقف معها السيدة حرم محمود بك فوزى رئيس وفد مصر الدائم فى الأمم المتحدة .. ولأول مرة هذا العام ظهرت فى حفلة رسمية .. فقد كانت معتكفة لا لتزامها « رجيم » صحى دقيق .. ولما أبدت سبب اعتكافها لحرم عزام باشا قالت لها مداعبة :

— موش ضرورى .. كان كفاية إنك تواظبى على حضور جلسات هيئة الأمم وتسمعى الكلام الفارغ اللى بيقولوه هناك وانتى تخسىّ الربع ..

وجاء فارس بك الخورى رئيس الوفد السورى ، ولما استمع لمدار الحديث قال لها :

— والله ما حقيته رجيم غير أعضاء الوفود .. رجيم كلام ..

وأجابت حرم فوزى بك :

— الرجيم ده يا فندم ما يبقاش إلا فى ملاجىء الصم البكم ..

ورأى فارس بك الخورى معالى صلاح الدين باشا قادماً فقال :

— لما أقول للباشا على الفكرة دى . .

وتقدم إليه فأخبره فضحك صلاح الدين باشا وقال له :

— وعاوز ترازى الخرس ليه بس يا فارس بك ..

وبين المدعوين كان أيضاً النبيل عباس حليم .. وقد وقف طويلا مع عزام باشا والأستاذ محمود بك أبو الفتح ، ودار بينهم حديث طويل ، وبعد أن انتهى منه تقدمت إليه أسأله عن مدار الحديث فربت على كتفى وهو يبتسم وقال لى :

— أنا كنت بأسألهم إن كان ممكن يشغلونى مراسل صحفى معاكم هنا . .

وسكت ثم همس فى أذنى :

— أنا راح أقول لك على واحد صورة كويس خالص . . استنى شوية . .

وتركنى وعاد إلى عزام باشا .. ورأيت محمود بك فوزى منتحيا ناحية مع الدكتور رالف بانش وسيط الأمم المتحدة فى فلسطين .. وكان حديثهما حديثا قانونياً ضليعاً عن سلطات محكمة العدل الدولية .. واستمعت إلى جانب طويل من الحديث .. وكأنما لاحظ الدكتور بانش عدم انسجامى مع هـذا الحديث فقال لى مداعبا وهو يشير إلى البوفيه :

— روح هناك أحسن .. لو وقفت هنا معانا راح تنسد نفسك . . إحنا سبقناك وبنهضم دلوقت ..

وجلس الدكتور صلاح الدين باشا طويلا مع الدكتور پاستير حفيد پاستير الكبير عالم الميكروب الخالد .. والسيدة قرينته .. ولما سألت معاليه عن حديثه مع الدكتور پاستير أجاب :

— طبعا حديث طبي .. احنا موش دكاترة زى بعض ..

ورأيت النبيل عباس حليم يتجه إلى الوزير مستأذنا فى الانصراف فلحقت به وسألته عن الصورة التى وعدنى بها فأشار إلى صورة زيتية لفارس من النبلاء الفرنسيين القدماء وقال :

— أهى .. اتفرج عليه كويس ..

وانصرف ..



فيشنسكى إلى اليمين يشرب نخب مصر وإلى يمينه النبيل عباس حليم فسفير روسيا فى باريس فعزام باشا فصلاح الدين باشا

نجوم الدورة السادسة

هذه الدورة للجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة .. الدورة السادسة .. التى عقدت فى قصرشايو بباريس دورة فاترة باردة وهى تمضى الآن مسرعة إلى نهايتها دون أن يبرز فيها حدث واحد يقيم الدنيا ويقعدها .. وكانت الدورات السابقة تحفل بالأحداث أو تتميز على الأقل بحدث واحد يتيم .. إن هيئة الأمم لم تعد مسرحاً لهذه الأحداث التى تحكم مصائر الدول وعلاقاتها ، فقد فقدت هذه الدول ثقتها فيها وأصبحت تفضل حل مشاكلها بنفسها سواء كان اللين والسياسة وسيلتها أو كانت القوة والحرب .. ولم تعد هيئة الأمم اليوم أكثر من صورة مكبرة من صور « الروتين » .. روتين دولى .. أو على حد تعبير السيد فارس الخورى بك رئيس الوفد السورى « فانتازيا » .

ومع هذا فقد لمعت فى سماء الدورة السادسة الحاضرة نجوم من رؤساء وأعضاء الوفود سجلت انتصاراً أو انتصارات على منبر الخطابة فى قاعة الجمعية العامة بقصر شايو أو فى قاعات اجتماعات لجان الأمم المتحدة ..

برز فى هذه الدورة رجلان يبرزان دائما فى كل دورة « الرفيق فيشنسكى » وزيرخارجية روسيا .. و« السيد محمد ظفرالله خان » وزيرخارجية الباكستان . وكلاهما رئيس لوفد بلاده .. ومجال بروز الرجلين هو الخطابة ، فكلاهما خطيب بارع ساحر .. وقوة فيشنسكى فى خطبه أساسها جرأته فى الكيل للكتلة الغربية وفضح مناوراتها .. أما ظفر الله خان فأساس قوته فى خطبه الأسانيد القانونية التى يسوقها فيها .. ولذلك يضطر فيشنسكى إلى رفع صوته والعنف فى خطابته ، بينما يلتزم ظفر الله خان الهدوء ويخطب فى صوت يكاد يضيع لولا ميكروفونات قصر شايو الجبارة القوية .

وقد ذهب ظفر الله خان فى تأييده باسم بلاده لقضية مصر وقضايا العرب كلها

إلى أبعد حد .. لم يكتف بالخطابة لتأييدها كلما عنت الفرصة ، بل تقدم لحضور اجتماعات الوفود العربية بنفسه وحرص على حضورها كلها وتأييد كل سياسة أو خطة ترسمها بحيث تكون يده أول يد ترتفع مع أيديهم عند أخذ الأصوات فى الجمعية العامة .

كنت بعد ظهر يوم فى مكتب الوفد المصرى بفندق البرنس دى جال عندما دخل الدكتور حامد سلطان عضو الوفد ومندوبه فى إحدى لجان الأمم المتحدة يسأل فى لهفة أعضاء السكرتارية عما لديهم من أخبار مصر ويستوضحهم تفصيلات حادث خطير وقع وقتئذ ، وقال السكرتاريون إنه لم تصلهم أنباء من مصر عن هذا الحادث .. وصاح الدكتور حامد سلطان فى عجب ودهشة :

— أمال فيشنسكى عرف التفصيلات دى منين .. ده فاجئنا بها فى اجتماع اللجنة النهارده ، وكأنه كان هناك !؟

وكان هذا الحادث قد وقع فى الليلة السابقة مباشرة . . وهذا العلم العجيب المجهول المصدر بكل شىء وبكل مايدور فى جميع أنحاء العالم هو المفاجأة التى يفاجىء بها فيشنسكى محاوريه فى مناقشاته فى اللجان ويفحم بها ردوده عليهم ..

وأبرز مافى دورة الأمم المتحدة السادسة كانت قضية مصر ، وإن لم تعرض على الجمعية العامة أو مجلس الأمن ، فقلما كانت تخلو جلسة من جلسات الجمعية أو مجلس الأمن أو اللجان من الحديث عنها من مندوبى مصر أو مندوبى الدول العربية أو الدول الأسيوية الموالية لها . . وقلما كان يمر يوم دون أن يعقد وفد مصر مؤتمراً صحفياً كبيراً تدوى فيه كلمة مصر .. وفى كل هذه الاجتماعات والمؤتمرات تتسلط الأضواء على الدكتور محمد صلاح الدين باشا المحامى الأول عن مصر والدول العربية . . ووزير خارجية مصر الشاب الذى برز على رأس قائمة نجوم الدورة السادسة .. وقائمة أعماله فيها حافلة .

وفى ذات ليلة وأنا خارج من فندق البرنس دى جال صادفت ظفر الله خان داخلا مسرعاً فاستوقفته وسألته :

— أقادم سعادتك لمقابلة صلاح الدين باشا؟.

— نعم !!..

— هل من أنباء جديدة عن وساطتكم بين مصر وبريطانيا ؟.

— لم أجيء لهذا الغرض ، وإنما جئت لأزور صلاح الدين باشا ، إننى أحب وأعتز بصداقة رجل فذ ناجح مثله .. إن الفشل لايعرفه أبداً .. صدقنى أننى إن كنت أقوم بمسعاى من أجل مصر وحبى لها وعرفانى بجميلها نحو بلادى فإننى أقوم به أيضاً لحبى لصلاح الدين وإعزازى لشخصه وتقديرى لشخصيته وكفاءته ووطنيته .

« والسيد أحمد الشقيرى » الأمين العام المساعد للجامعة العربية ذهب لدورة الأمم المتحدة الحاضرة عضواً فى الوفد السورى . . . ولم نحس به نحن الصحفيين المصريين ولا زملاءنا محرى الأمم المتحدة ، فلم يك له نشاط بارز ملحوظ .. حتى أطلق عليه بعض الخبثاء من الصحفيين اسم « مسيو كمالة عدد » وفجأة . . وفى الجمعية العامة قام أحمد الشقيرى وصعد إلى المنبر ، وألقى خطبته باللغة الإنجليزية .. كانت أوراقها أمامه ولكنه لم ينظر فيها وارتجل . . . وكان ينطق الانجليزية كابن أكسفورد ، بل كأستاذ فى أكسفورد . . . وكان صوته مدوياً مجلجلا يهز أركان القاعة الكبيرة . وكانت حركاته ونبرات القائه عنيفة مؤثرة تتغلغل فى شغاف النفوس وحنايا الصدور . . . وعندما ختم كلمته اهتزت أركان قاعة الجمعية العامة بالتصفيق وتقدم رؤساء وأعضاء الوفود إليه يهنئونه معانقين مباركين .. ويبايعونه خطيباً للأمم المتحدة فى دورتها السادسة . . وكنا نحن الصحفيين أول المهنئين والمبايعين .

وفى هذه الدورة بزغ نجم جديد .. « المسيو شومان » وزير خارجية فرنسا ... ولأول مرة التقيت فيها بالمسيو شومان فى قصر شايو ذكرته بما دار من حديث بينى وبينه فى ليك سكسس فى العام الماضى فى دورة الجمعية الخامسة عندما سألته عن موقف حكومته من القضية المصرية فأجابنى بقوله :

— لو كنا فى باريس لأجبتك فوراً على سؤالك .. ولكننى هنا فى هيئة الأمم وليس من حقى أن أتكلم أو أعمل إلا بصفتى عضواً فيها يعمل للجميع ويتكلم باسم الجميع .

وقلت له :

— نحن اليوم فى باريس فهلا أجبتنى عن سؤالى القديم ؟

وابتسم الرجل وأجابنى بقوله :

— ما زال نفس المانع قائماً . . . إننى هنا بين جدران قصر شايو فى هيئة الأمم .. عندما نلتقى فى خارج قصر شايو أجيبك على سؤالك ..

ولم نلتق أبداً خارج قصر شايو لأن مسيو شومان لا يترك هيئة الأمم إلا ليذهب إلى بيته وهو فى بيته لا يستقبل أحداً — وعلى الأخص الصحفيين كما قال لى سكرتيره الخاص عندما سألته موعداً معه — ولو فى بيته .

ولمع عبد الرحمن عزام باشا بين نجوم الدورة السادسة . . . وإن كان عمله من وراء الكواليس باعتباره عضواً مستمعاً فقط فى الجمعية العامة . . . وكان بروزه فى اتصالاته برؤساء الوفود وإقناعهم بقضية مصر والقضايا العربية أخواتها وكسب أصواتهم . . . كما ساهم فى الدعاية لهذه القضايا فى سلسلة مؤتمرات صحفية عقدها فى قصر شايو وإذاعات أذاعها من راديو باريس ومقالات نشرها فى أمهات الصحف الفرنسية .. وبرز فى نفس هذه الميادين عدلى بك أندراوس سفير مصر فى اليونان .. بروزاً استرعى أنظار رؤساء الوفود وأعضاءها وجعلهم يتسابقون إلى التعرف به . . . وكانت الأنوار تسلط عليه فى جميع المؤتمرات الصحفية واجتماعات اللجان التى يحضرها عضواً عاملا بارزاً فيها .

بقى نجم آخر من نجوم الدورة السادسة « السيد خليل تقى الدين » عضو الوفد اللبنانى . . وهو معروف فى الشرق العربى بأنه شاعر أديب قصاص . . . وكانت أولى تجاربه فى ميدان الدبلوماسية الدولية عندما عين وزيراً مفوضاً

لبلاده فى موسكو ونجح الشاعر الأديب القصاص فى ميدان الديبلوماسية نجاحاً شهدت به صحف بريطانيا وواشنطن ، والشهادة بنجاح من يعمل فى المعسكر الشرقى من المعسكر الغربى « دكتوراه » فى الديمقراطية .. فلما ألفت الحكومة اللبنانية وفدها إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها الحاضرة كان أول من فكرت فيه السيد خليل تقى الدين . . واشتهر تقى الدين فى قصر شايو بأنه أول من يدخل قاعة الجلسة التى يحضرها وآخر من يغادرها ، وأنه لم يترك جلسة واحدة لم يتكلم فيها . . . ويتكلم دائما باسم الضعيف صاحب الحق المهضوم .. وقد كال الكيل لروسيا فى جميع ما قاله .. ولا أظن أن الستار الحديدى سيسمح له باختراقه مرة أخرى بعد انتهاء دورة الأمم المتحدة الحاضرة .

وبقيت أيضا بين نجوم هذه الدورة سيدة .. هى .. السيدة اليانور روزفلت أرملة الرئيس روزفلت .. وعضوة وفد الولايات المتحدة الأمريكية فى هذه الدورة . . . وهى نجم دائما فى جميع دورات الجمعية العامة بما تمتاز به من نشاط وحيوية ، ولأنها الأثر الباقى لجهود زوجها الراحل فى سبيل تدعيم الديمقراطية وتوطيد السلام العالمى .. وكلمتها مسموعة عند جميع رؤساء وأعضاء الوفود ، حدث أن اشتط فيشنسكى فى إحدى خطبه بالجمعية العامة فى ذم زوجها الراحل والقدح فى سياسته فالتفتت إليه فى هدوء وعلى شفتيها الغليظتين ابتسامة كبيرة وقالت له :

— أشكرك يا مسيو فيشنسكى .. ولكنك جئت متأخراً .. فقد خرج فرانكلين من طاعتى كما تعلم ؟! ولم يعد أمر حسابه فى يدى الآن ..

هؤلاء هم نجوم الدورة السادسة .. فى سماء هيئة الأمم المتحدة الملبدة بالغيوم والسحب .

رأيت . . وسمعت فى قصر شايو ؟ !

فى قاعة الجمعية العامة للأمم المتحدة وقاعات مجلس الأمن واللجان المختلفة فى قصر شايو .. وبين أروقة هذا القصر الضخم الذى يموج اليوم بوفود الدول وأقطاب السياسة العالمية .. رأيت وسمعت غرائب وطرائف .. نوادر ومآسى . . وضحكت مع الضاحكين وأسفت مع الآسفين ..

كنت أجلس مع الدكتور محمد صلاح الدين باشا فى صالون أعضاء الوفود بالطابق الثانى بقصر شايو .. وهذا الصالون يشرف بواجهة زجاجية على برج إيفل .. وأشرت الى البرج العظيم الضخم وقلت لمعاليه :

— ما أعظم هذا البرج .. إنه حقا من مفاخر البناء والتعمير ..

وتأمل معاليه فى البرج لحظة ثم حول نظره عنه الى قاعات اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة المواجهة فى الناحية المقابلة وقال لى وهو يشير إلى هذه القاعة :

— ولكن هذا « البرج » أعظم .. من برج الأمم المتحدة .. برج بابل .. إننا نجلس هنا بين برجين .. برج إيفل ، وبرج بابل .. وإن كان برج إيفل من مفاخر البناء والتعمير كما تقول فإن برج بابل الأمم المتحدة من مفاخر دم والتدمير ..

* * *

واستطعت التسلل الى قاعة الاجتماعات بمقر الوفد المصرى بفندق البرنس دى جال فى باريس عقب انفضاض اجتماع الوفود العربية فيها .. وعلى مائدة الاجتماع رأيت أوراق المذكرات والملحوظات الموضوعة أمام المجتمعين كلها فاضية من غير سوء .. إلا أربعة ورقات كانت أمام فارس بك الخورى رئيس الوفد السورى والدكتور رشاد فرعون رئيس الوفد العربى

السعودى وشارل بك الحلو رئيس الوفد اللبنانى وعبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية .. وقد دون كل منهم على ورقته ما كان يدور فى خاطره وقت الاجتماع ..

كتب فارس بك الخورى على ورقته كلمة واحدة « انتخابات » .. ولعله كان يفكر فى الانتخابات المرتقبة فى سوريا .. وكتب الدكتور رشاد فرعون عبارة طويلة فى رأس الورقة ثم شطبها بقوة وعنف بحيث أصبحت لغزاً عويصاً معقداً استعصى على حله .. وكتب شارل بك الحلو اسمين تحت بعضهما فى جانب من الورقة ثم شطب عليهما بقوة أيضا ومع ذلك بقيا ظاهرين « الكيلانى » و « الشقيرى » وكان الاثنان حاضرين فى الاجتماع الأول بصفته عضواً فى الوفد العراقى والثانى بصفته عضواً فى الوفد السورى .. ولعله كان فى صدد تسجيل أسماء المجتمعين ثم عدل عن الفكرة أو لعله يميز الرجلين عن باقى المجتمعين امتيازاً ما .. أما عبد الرحمن عزام باشا فقد رسم على الورقة رسما عجيباً .. رسما معقداً غير واضح .. فعرضته عليه وسألته :

— هل هذا الرسم المعقد الغير واضح يشير إلى أن الاجتماع كان معقداً وأن هناك خلافاً بين الدول العربية ؟

وأجابنى :

— أبداً مافيش أى تعقيد ولاخلاف .. ده الرسم بالعكس يشير إلى صفاء الاجتماع وأن التفاهم والاتفاق كانا يسودانه .. بس على « طريقة السر ياليزم » .

* * *

وانتهز أحد بيوت الأزياء الكبيرة فى باريس فرصة اجتماع هيئة الأمم المتحدة فى بلدهم وأقام حفلة كوكتيل كبيرة دعا إليها رؤساء وأعضاء وفود الدول وعقيلاتهم .. ليعرض خلال الحفلة أحدث أزيائه .. ولم يذهب واحد من رؤساء

الوفود .. وإما ذهب بعض أعضائها .. ولما وصل نبأ تخلف رؤساء الوفود عن حضور الحفلة إلى الرفيق فيشنسكى رئيس الوفد الروسى — وللوفد الروسى شبكة مخابرات سرية لايخفى عليها سراً مهما خفى ودق — لما وصل إليه النبأ أسرع بالذهاب إلى الحفلة .. وحضر عرض الأزياء ، وأبدى إعجابه بطقم من الملابس الداخلية « كومبينزون » وقال لمديرة بيت الأزياء :

— معذرة إذا كان لم يعجبنى إلا هذا .. فنحن لا نراه عندنا أبداً بسبب الثلوج التى لاتتركنا .

وطلعت الجرائد الفرنسية فى صباح اليوم التالى تصف الحفلة .. والأزياء .. وقد أدرجت ضمن هذه الأزياء زياً جديداً نسبت ابتكاره للرفيق فيشنسكى فقد نسى فى عجلة ذهابه للحفلة إحدى فردتى رباط حذائه ..

* * *

وإذا دلفت من باب قصر شايو الكبير إلى الردهة الرئيسية الواسعة لقيت وسطها على منصة عالية رجل وثلاث فتيات .. ذلك الرجل هو « جورج هارتنج » بولونى الجنس .. ووظيفته نداء سيارات أعضاء الوفود من مكانها الذى تصطف فيه خارج القصر خلال الجلسات لتكون فى انتظار أصحابها .. وقد أعدت سكرتارية الأمم المتحدة لأعضاء كل وفد سيارتين لتكونا تحت تصرفهم بالمجان فإن شاءوا سيارات أكثر استأجروها من عندهم .. وترى رؤساء وأعضاء الوفود يذهبون الواحد تلو الآخر إلى جورج هارتنج يطلبون سياراتهم فيطلبها لهم فى الميكروفون الصغير الذى لايغادر يده .. وهو يتحدث يوميا فى المتوسط إلى ٤٥٠ رجلا منهم .. يتحدث إليهم بلغة من لغات الأمم المتحدة الخمسة المعتمدة الانجليزية ، والفرنسية ، والروسية ، والأسبانية ، والصينية .. ويتقن معها ثلاث لغات أخرى .. وهو ينادى فى اليوم الواحد على ١٠٠٠ سيارة فى المتوسط ، لأن أغلب الأعضاء يخرجون ظهراً للغذاء ثم يعودون ، وأغلبهم يستقل بسيارة خاصة

وحده .. والفتيات الثلاث مساعدات له وأمامهن أرشيف بأرقام السيارات وأسماء أصحابها يلجأ إليه هارتنج إذا ما أخطأ صاحب السيارة رقم سيارته أو نساه .. وقد حدثت بسببه مأساة مضحكة .. خرج مرة أحد أعضاء الوفود اللاتينية .. عجوز متصابى مع فتاة حسناء من موظفات السكرتارية دعاها للعشاء معه بعد أن اعتذر لزوجته بتخلفه لحضور اجتماع إحدى اللجان .. وذهب إلى هارتنج ليناد له سيارته وهو يفرك يديه فرحاً مزهواً بغزوه .. وجاءت السيارة ودفع العجوز باب الخروج وقد تأبط ذراع الحسناء وفتح له سائقه باب السيارة ليرى فى داخلها زوجته الغيورة الدائمة الشك فيه .. فقد شكت فى عذره وجاءت ونصبت له كمينها داخل السيارة . وظلت تترقب وقوعه فيه .. وكانت معركة رائعة جبارة كان ينقصها عن معارك هيئة الأمم فى الداخل وجود المترجمين الذين يترجمون لنا لغة المتعاركين إلى اللغات الأربعة الأخرى المعتمدة هناك .

* * *

ويجرنا الحديث عن سيارات أعضاء الوفود إلى ذكر نادرة طريفة وقعت للدكتور محمود عزمى بك عضو الوفد المصرى فقد حدث مراراً أن كان ينزل من قصر شايو أو من فندق البرنس دى جال فيبحث عن سيارته التى تركها فى انتظاره فلا يجدها ، ويضطر إلى الانتظار وقتاً طال أو قصر حتى يعود بها السائق فإذا ما سأله أين كان أجابه :

— المسيو « بيك » كلفنى بتوصيله . .

وكان عزمى بك يظن أن « المسيو بيك » هذا هو صاحب السيارة الفرنسى الذى استأجرها منه الوفد فلا يلوم السائق مجاملة لصاحب السيارة . . .

وتكرر الأمر وأصبح يسبب عطلا لأعمال عزمى بك فتضايق وقال للسائق :

— أريد أن أرى « المسيو بيك » .

وببساطة أشار السائق إلى الدكتور حامد بك سلطان عضو الوفد المصرى الذى تصادف وقوفه على مقربة فى ذلك الوقت .. وتبين عزمى بك السر المضحك كان الدكتور سلطان هو الذى يستخدم السيارة ويقول للسائق :

— إذا ما سألك عزمى بك عمن أخذ السيارة فقل له « سلطان بيك » ... ولم يستطع السائق التقاط الإسم ... وظن « بيك » بقيته فاكتفى بها ...

* * *

ولم أر بين العاملين فى دولاب الحركة بقصر شايو من هو أنشط من « سكورنك » ... غلام فرنسى فى الرابعة عشر من عمره ... ووظيفته حمل البرقيات من أيدى الصحفيين إلى مكاتب شركات الأنباء .. إنه يدور كالنحلة وفى كل يوم يحمل فى المتوسط ٢٠٠٠ برقية ... ويحبه جميع الصحفيين ... ولكن أكثرهم حباً له صحفى أمريكى شاب ، حمله يوما برقية ، وبعد أن ذهب بوقت طويل تبين الصحفى أن برقيته تحمل نبأ مكذوباً وفى كذبه خطورة دولية ومعنى إذاعته فضيحة جريدته ومن ورائها فقده عمله ... وكان قد دسه عليه زميل له يحقد عليه ... وأسرع الصحفى المسكين إلى مكتب الأنباء وهو يائس من أن يلحق بالنبأ قبل الإبراق به ونشره ، فإذا به يتبين أن المكتب لم يتلق النبأ ... وبحث عن الغلام سكورنك .. ولحسن حظه وجده قد وقع فى طريقه من عنده إلى مكتب شركة الأنباء على الأرض فأصيب إصابة بالغة نقل من أجلها إلى المستشفى لإسعافه ... وكان التلغراف فى جيبه .. وكانت مصيبة سكورنك عند الصحفى الأمريكى الشاب فائدة ، ومن ثم كان حبه وإعزازه للغلام .

* * *

وفوجىء صحفيي الأمم المتحدة يوما بوجود وجه جميل ساحر بينهم فى جناحهم الخاص بقصر شايو .. وقدمت الفتاه نفسها إليهم « إيلزا مافريك » صحفية

تشيكوسلوفاكية . . وفى نفس الوقت تعد رسالة للدكتوراه الدولة من السوربون . وعاشت بينهم أسابيع وهم يحيطون بها إحاطة النحل بخليته وفجأة اختفت ..وبعد اختفائها تبين أنها جاسوسة سوفيتية تعمل لحساب الكرملين . وأنها استطاعت أن تؤدى مهمتها بنجاح فى باريس بعد أن خدعت هيئة الأمم كلها .. لو لم يضبطها البوليس الفرنسى عند اجتيازها الحدود إلى سويسرا ويضبط معها أوراق خطيرة هامة .. وبعد رحيلها وانكشاف أمرها قال لى الدكتور عزمى بك :

— إوعى تكون دى الجاسوسة الحسناء بتاعة فكرى أباظة باشا ؟ ! .

عبد الوهاب يصف جلسة للجمعية العامة

انتهزت فرصة وجود الموسيقار محمد عبد الوهاب فى باريس ودعوته ليشهد جلسة من جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة فى قصر شايو .. وكان جوابه على هذه الدعوة :

— لا يا محمد .. أحسن آخذ زكام ..

والزكام عدو عبد الوهاب الألد الذى يحاوره ويداوره طوال الشتاء . . . والذى بسببه هرب فجأة من برد باريس متوهما أنه لو بقى فيه ولو ساعة أخرى بعد إصابته بالزكام الذى أصابه فجأة لأصبح فى عداد المغفور لهم « الصالحين » على حد تعبيره هو .

وقلت له :

— ماتخافش .. قصر شايو فيه تكييف هوا .

— تكييف الهوا يعمل إيه مع برود أعضاء الوفود ؟ !

— وليه تحكم عليهم بالبرود ؟

— هو اللى يقعد يرغى زيهم ثلاث شهور كل سنة فى كلام فارغ ما يبقاش بارد .. ده الحلاق عندنا بيضربوا به المثل فى البرود لأنه بيرغى طول مابيحلق لك .. وعمر الحلاقة ما تزيد عن نصف ساعة بالكثير ..

وبعد إلحاح استجاب عبد الوهاب لدعوتى ، وأغراه بالقبول أن أخبرته بأن الجلسة التى أدعوه إليها سيخطب فيها معالى الدكتور محمد صلاح الدين باشا .. وقال :

— راح أروح علشان خاطر الدكتور صلاح الدين باشا .. هو بيحب يسمع صوتى وأنا كمان باحب أسمع صوته .. كل واحد منا يعجب بفن الثانى .. لأنه هو راخر فنان .. فنان فى السياسة زى ما أنا فنان فى الغناء ..

ووضع عبد الوهاب نفسه فى معطفه الضخم وقال لى :

— أهو دلوقت حطيت نفسى وراء خط سيجفريد ضد البرد ..

ووصلنا إلى باب فنـدق الجراند أوتيل الذى كان يقيم فيه عبد الوهاب وقبل أن ندلف منه إلى الخارج رأيته يخرج من جيبه منديله ويسد به أنفه ثم قال لى :

— وآدى كمامة الزكام كمان . .

وهـكـذا ذهب معى عبد الوهاب إلى هيئة الأمم .. مسلحاً محصناً .. ضد الزكام والبرد ..

* * *

ووصلنا إلى قصر شـــايو .. ونظر عبد الوهاب إلى القصر .. ثم التفت إلى برج ايفل المواجه له .. وقال :

— ليه ما اجتمعوش فوق برج ايفل .. فى الهواء الطلق .. كنا على الأقل ضمنا لم يتخانقوا مع بعض يقعوا من فوق البرج وتنـكسر رقبتهم ..

ولما رأى أعلام دول الأمم المتحدة الخمسين تستقبلنا فى حديقة القصر قال :

— إيه الروايات دى كلها .. هى هيئة أمم وإلا مولد ..

وأوقفنا سيارتنا وسط سيارات أعضاء الوفود وتقدم أحد عساكر المرور الفرنسيين الواقفين هناك خفيانا وفتح لنا باب السـيارة فدهش عبد الوهاب وقال لى :

— شايف عساكر المرور بيعملوا إيه هنا .. عندنا مايقربوش على عربيتك إلا علشان يعملوا لك مخالفة ..

وعلى باب القصر شاهد عبد الوهاب نافذة حجرة التذاكر ولم يك أمامها أحد فقال لى :

— شايف ما فيش حد على شباك التذاكر .. دى لازم « الرواية » النهاردة بايخة .. موش حرام عليك تجيبنى فى البرد ده ؟ !

— أبداً .. الرواية عظيمة جداً .. النهاردة قضية مرا كش زى ما قلت لك .. وما فيش حد قدام شباك التذاكر لأن « الحفلة » كلها كومبليه Complet من أسبوع فات من يوم ما أعلنوا عن « الرواية » ..

وسألنا ضابط البوليس المعين على الباب عن التذاكر فأبرزت له بطاقتى الصحفية وتذكرة الدعوة التى جئت بها لعبد الوهاب ، ودخلنا ، وقال لى عبد الوهاب :

— هنا كل واحد بيخش بتذكرة .. يعنى جواز المرور بتاع ضباط البوليس عندنا .. كلمة « بوليس » إياها ما تنفعش هنا ..

ونظر إلى منصة عالية تتوسط الردهة ويجلس عليها رجل أنيق يتحدث فى ميكروفون صغير فى يده وإلى جانبه جلست فتاتين حسناوين وسألنى :

— إيه ده ؟

— ده منادى السيارات .. بينادى فى الميكروفون على سيارات الأعضاء من بره علشان تستناهم على الباب لما يخرجوا ..

— طيب والبنتين اللى معاه ؟

— دول سكرتاريته .. قدامهم أرشيف بنمر سيارات الأعضاء علشان يستعين به لو نسى واحد من الأعضاء نمرة سيارته ..

ونظر عبد الوهاب حواليه مكاتب البريد والتلغراف ومحلات بيع الجرائد والسجائر والحلوى والهدايا القامة فى ردهة شايو وقال لى :

— موش قلت لك ده مولد ؟ !

وأعطينا معطفينا وقبعتينا لعاملة المعاطف وسألتنا :

— وفد إيه ؟

فأجابها عبد الوهاب بالعربية :

— وفد الفن .

وأجابت العاملة دون أن تفهم بالطبع .

— وِّى مسيو Oui monsieur

ودعوته لتناول فنجان من الشاى فى « البوفيه » فقال لى :

— هو كان فيه بوفيه . . ده لونابارك بقى موش مولد بس ؟ !

وفى البوفيه رأى إقبال الأعضاء على الطعام والشراب قبل دخولهم الجلسة فقال :

— دول مالهم بياكلوا « بفجعة » كده .. زى اللى بيأكلوا فى آخرزادهم .. هم داخلين الجلسة والا رايحين ميدان القتال . .

وجلسنا نشرب الشاى وعينا عبد الوهاب لا تنقطعان عن الدوران فيما حولنا وقال :

— لو كانوا يشتغلوا فى الجلسة بنفس الشهية والإخلاص والنشاط ماكانش العالم يغرق معاهم فى الخلافات والحرب الباردة اللى خنقاه الأيام دى .

ودعوته بعدها لزيارة جناح الصحفيين . . وأحاطوا به كلهم — من مختلف دول العالم وشعوبه — وطلبوا منه أن يغنى لهم فاعتذر قائلا :

— بعدين أبوظ على فيشنسكى وإيدن . . خليهم ياكلوا عيش . .

ومررنا بأقسام السينما والتليفزيون والتسجيل والإذاعة فى بدروم قصر شايو التى تسجل كل كلمة تدور فى هيئة الأمم وكل وجه يتكلم على منابرها . . وأخذ عبد الوهاب بمشاهدتها وقال :

— دى هوليوود كلها ما فيهاش واحد على ألف من الأجهزة والعدد دى ..

ووقف طويلا فى قسم تسجيل الأسطوانات وقال :

— لو يشاركونى على القسم ده موش يكون أكسب لهم وأربح . .

ودق الجرس يدعو لدخول الجلسة فقال عبد الوهاب :

— ده تياترو بصحيح .

ومررنا بقاعة استراحة الأعضاء وكان فيها « الأمير مساعد بن عبد العزيز

آل سعود » أحد أنجال جلالة الملك ابن السعود . جاء أيضا يشهد الجلسة . . ورحب بعبد الوهاب الذي يعرفه من سنوات . . وطلب منى أن أسجل لهما صورة . . وأجلس الأمير عبد الوهاب إلى جانبه وأمسك بيده في يده في صورة الاتحاد والتضامن وقال لى :

— إيه رأيك يا أستاذ فى صورة الوحدة العربية دى . . صور علشان نغيظهم . . وقال عبد الوهاب :

— الحقيقة يا سمو الأمير . . الصورة دى « نشاز » هنا . . ما حدش فى هيئة الأمم بيحط إيده فى إيد الثانى أبدا . .

ودخلنا قاعة الجمعية العامة . . وجلسنا فى مقاعدنا . . وقال عبد الوهاب وهو يدور ببصره حواليه :

— مسرح مضبوط . . خشبة المسرح قدامنا والستائر . . والأنوار الكشافة مسلطة عليها . . والصالة ملآنة بأعضاء الوفود . . واحنا المتفرجين مالين البلكون والألواج . .

وبدأت الجلسة . . وخطب أحمد بك الشقيرى عضو الوفد السورى . . وألهب الأكف بالتصفيق . . ثم خطب ظفر الله خان رئيس وفد الباكستان . . ثم خطب الدكتور صلاح الدين باشا . . وتهدج صوته بالوطنية الخالصة الدافقة وملك أعنة الجمعية العامة . . وتحمس عبد الوهاب مع المتحمسين — وكانوا كل من أظله سقف الجمعية العامة يومها . . ومال على أذنى يقول لى :

— ده احنا راح نكسب مائة فى المائة . .

وسكت ولم أجب .. لم أجب إلا بعد أن أخذت الأصوات واختفت الأكف التى كانت تصفق لنا . . خسرنا . . وعاد عبد الوهاب يميل على أذنى ويسألنى :

— إزاى خسرناها . . أمال إيه دول اللى قاعدين وما أعطوش أصواتهم ؟

— دول كومبارس . .

— إنما ده قتل . . قتل لشعوب بحالها . . احنا بنزعل عندنا من يوسف وهبي لما يقتل فى مسرحياته مع إنه بيقتل فى التمثيل . . ودول هنا بيقتلوا بحق وحقيقى . .

وقمنا لننصرف . . وقال لى عبد الوهاب وهو يضع نفسه مرة أخرى فى معطفه « السيجفريد » ويغطى أنفه بمنديله :

— انت النهارده فرجتنى على مسرحية كبيرة صحيح . . إنما للأسف دى أبوخ مسرحية شفتها فى حياتى ؟ !

حديث باريس

حديث باريس كله همس ونجوى . . . وهل تنتظر أن تسمع من الشعب الرقيق المشاعر المرهف الحس الذى يعيش على الجمال والفن ويقدم غذاء روحه منها على غذاء جسمه من الطعام والشراب . . . هل تنتظر من هذا الشعب غير الهمس والنجوى . . . وقد يثور ولكن الثورة تستعر وتستقر بين أضالعه ويطول احتباسها بينها .

والحديث الأول هناك اليوم حديث ميزانية الدولة . . . لقد قدر العجز فى مصروفات السنة المقبلة بمائة وخمسين مليارا من الفرنكات . . . وحتى تتعادل الإيرادات وتتوازن مع المصروفات لابد من زيادة المعونة الأمريكية لأن الشعب الفرنسى لا يحتمل اليوم ضرائب جديدة . . ويتوجسون خيفة من أن تقصر المعونة الأمريكية عن مواجهة العجز ، وتضطر الحكومة إلى فرض ضرائب جديدة . . . وإن كانت المصادر المطلعة تؤكد أن الحكومة لن تجرؤ على ذلك وإن جرؤت فلن يقرها البرلمان وتكون أزمة وزارية لا يسهل حلها . . . والمتوقع أن تستميت الحكومة فى سبيل الحصول على زيادة المعونة الأمريكيـــة إن لم يكن عن طريق مشروع مارشال فعلى سبيل القرض العادى .

وكان حادث الموسم فى باريس بل حادث الجيل أن ولد فى أحد المستشفيات طفل له ذيل طوله ٨ سنتمترات يشبه ذيل الخنزير مطوى على ظهر الطفل ، ولكنه إذ بكى امتد وتصلب كالعصا كما يحدث لذيل القطط إذا غضبت ، وما كاد هذا المولود يتم اليوم السابع حتى أجريت له عملية استؤصل بها ذيله ، وهو الآن فى أتم صحة .

وأعلنت « مستيحيت » نجمة الميوزيك هول المخضرمة التى بلغت هذا العام

السابعة والسبعين من عمرها أنها أعدت أغنيات ورقصات وملابس جديدة للرحلة التي ستقوم بها إلى بلجيكا ، ثم تعود فتقوم بجولة في مدن فرنسا وريفها وبعدها ستشترك في استعراض كبير بالكازينو دى بارى .

وكما التقط « كوكتو » إديث بياف مغنية باريس الأولى من الشارع وجعل منها نجمة عالمية . . التقط جيل مارجاريتس صاحب « ملهى الإيجلون » من الشارع أيضا فتاة اسمها « بتى ديلان » آية كاملة من آيات الحسن وجمال الجسم وجعل منها في عام واحد راقصة باريس الأولى وما زال الاستعراض الذى وضعه من أجلها « مباهج الليل Nocturnes Folies » يمثل بنجاح أول يوم مثل فيه على « مسرح الإيجلون » . . وتعدى نجاح بتى فرنسا — القارة — إلى بريطانيا . . ففي كل يوم تسافر بتى بالطائرة في الساعة العاشرة صباحا إلى لندن فتعرض أزياء باريس في التليفزيون ثم تعود عند الظهر إلى باريس .

وثارت الباريسيات لمأساة الفتاة الإيطالية الأصل « كلوديا سكالو » . . . فقد خطبها شاب اسمه « فيتوريو جانيتى » . . . وأعدت معدات الزفاف . . . وفي الكنيسة أمام القسيس الذى تولى العقد وبين عشرات المدعوين ، وبينما كان العروسان ماثلان أمام المحراب والقسيس يتمم إجراءات العقد الذى سيربطهما مدى حياتهما ، ما كاد القسيس يسأل فيتوريو :

— هل تقبل مدموازيل كلوديا سكالو زوجة مدى الحياة ؟

ما كاد القسيس يسأل الشاب هذا السؤال التقليدى الضرورى لإتمام عقد الزواج حتى أدار الشاب ظهره للقسيس واندفع خارجا من الكنيسة كالصاروخ وكانت فضيحة . . ولحق بعض المدعوين به فوجدوه جالسا في بيته يتناول كأسا من الشراب في هدوء . . . ودعاهم لمشاركة الشراب ورفض العودة معهم إلى الكنيسة قائلا :

— هذا لا يكون . . لا أستطيع أن أتحمله على الإطلاق . .

وسألوه عن هذا الشيء الذى لايريد فأجاب :

— أن أرتبط بعقد مدى الحياة .. هذا مرهق وعنيف .. ما أطولها مدة .

وقد رفع والد الفتاة قضية على العريس الهارب يطالبه فيه بمبلغ مليون فرنك أنفقها على تجهيز معدات الزواج .

والكتاب الذى تقرأه باريس كلها اليوم . . . والذى وزع حتى اليوم منذ صدر من شهرين مضيا ٥ ملايين نسخة فى أنحاء فرنسا كلها كتاب عنوانه « جوع العالم La Faim Du mande » تأليف وليام فوجت William Voet كاتب فرنسى متوسط الشهرة .. وقد عرف كيف يختار عنوان ومادة كتابه .. إنه يبحث المشكلة أو الأزمة التى تعانيها بلاده مع العالم كله والمتوقع تفاقمها وازدياد خطرها — مشكلة زيادة السكان بنسبة لاتتعادل مع زيادة الإنتاج .. وفى نفس الوقت تضيق أرض بلادهم بزيادتهم هذه .. والنتيجة الجوع .

وقد عاد « الكونت دى بارى » المطالب بعرش فرنسا إلى باريس .. وبالرغم من أنه قد عرف نبأ عودته ، فإن أحدا لا يعلم أين يقيم فى باريس . . فقد أخذ يحيط نفسه فى الأيام الأخيرة بجو مغلق من الغموض والتخفى ..

والنكتة التى تضحك لها باريس اليوم نكتة الأصدقاء الأربعة الذين اجتمعوا فى بيت أحدهم للسهر .. وخلال جلستهم هذه قال واحد منهم للباقين :

— ترى لو كانت السماء تستجيب لما نطلبه منها فما الذى يطلبه كل منا ؟ . . أنا أطلب من الله أن يحول لى نجوم السماء ذهبا يتساقط على ولا يكون لى شريك فيه .

وقال الثانى :

— أما أنا فأطلب من الله أن يحول لى ماء المحيطات كله خمرا أشرب منه حتى أرتوى .

وقال الثالث :

— وأنا أطلب من الله أن يدخلنى الجنة فورا ويزوجنى الأربعين حورية هناك .

وسكت الرابع فقال له الباقون :

— لم سكت .. ما الذى تطلبه أنت ؟

فأجاب :

— أطلب من الله أن يميتكم أنتم الثلاثة جميعا حتى أرثكم ؟ !

نفرتيتي في برلين
وإيزيس في باريس ؟!

طالما بكينا وتباكينا على « نفرتيتي » التي اغتصبها الألمان لمتحف برلين وأبى علينا الحلفاء أن يردوها إلينا ولو على سبيل الغنيمة .. الغنيمة الوحيدة الفريدة التي نكسبها من الحرب التي قاسمناهم ومازلنا نقاسمهم ويلاتها .. وطالما بكيت وتباكيت مع الباكين .. ولكنني ما كنت لأتصور أن أنسى نفرتيتي تماما كما حدث إذ وقفت في « متحف اللوفر » في باريس أمام تمثال إيزيس .. تمثال من الحجر الأسود ضعف الحجم الطبيعي للآله المصرية القديمة الجميلة وعليها ثوب شفاف ينم عن جمال الجسم تحته وتناسق تقاطيعه .. تمثال إذ تراه يأخذ بلبك ويستولى على جميع حواسك فتقف أمامه ساعات وساعات دون أن تحس بالوقت كيف يمر أو بالتعب يتملك قدميك .. تمثال لا يتسامى لمنافسته شيء آخر من معروضات المتحف الضخم الكبير ويجتذب عشر معشار المعجبين الذين تتسمر أقدامهم أمامه الساعات الطوال .. حتى « تمثال فينوس » ميلو آلهة الجمال الأغريقي الذى يعتز به اللوفر .. فلقد غلبت آلهة الفراعنة آلهة الإغريق وانفردت بالسحر والسلطان في أعظم متاحف العالم ..

وليس تمثال إيزيس هو كل ماتراه من الآثار المصرية القديمة في اللوفر .. بل إن هناك قسم كبير ضخم من أقسام المتحف الرئيسية للآثار المصرية القديمة لا أبالغ إذا قلت إنه أكبر من المتحف المصرى كله ، وأكثر منه وأثمن تحفا — باستثناء آثار توت عنخ آمون — ويمتاز أكثر من هذا بجمال التنسيق .. التنسيق الذى يضطرك اضطراراً للوقوف أمام التحفة المعروضة واستجلاء قصتها واكتشاف آيتها .. بحيث قد تجد تمثالا واحداً في غرفة وحده .. والتنسيق

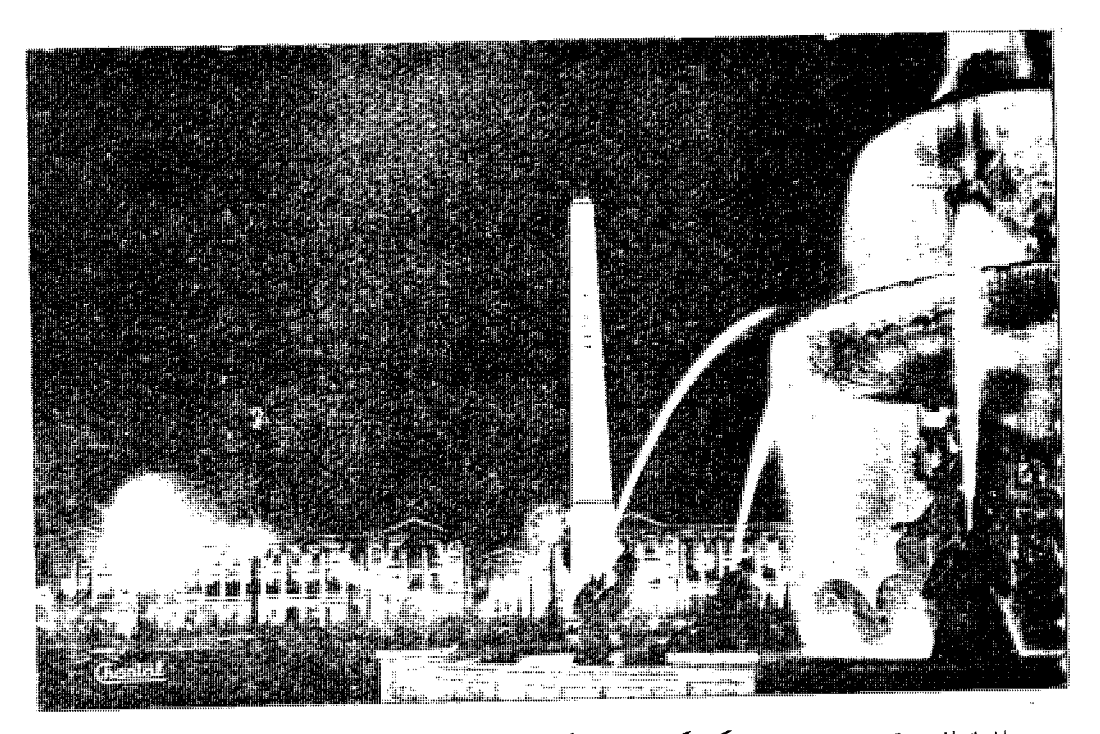
هو أهم مايعنى به القائمون بأمر جميع المتاحف التى زرتها فى أمريكا ولندن وباريس وروما حتى فى متحف الفاتيكان .. وعلاوة عليه تجدهم يعنون بأن يجعلوا بناء الغرف وزخرفتها من نفس طابع عصر وبيئة التحف المعروضة فيها .. فتعيش فى جو هذه التحف وكأنها مخلوقات حية تتنفس وتنبض بالحركة حولك أما عندنا فمتاحفنا ودكاكين سوق الكانتو سواء بسواء .

ماتكاد تجتاز باب اللوفر وتنحرف إلى اليسار حتى يستقبلك السلم الصاعد إلى الطابق الأول بزهرية فرعونية ضخمة هائلة وتصعد السلم فيواجهك تمثالين كبيرين لماريت باشا وشامبليون .. ثم تدخل أول قاعة من قاعات القسم المصرى تتلوها قاعات وقاعات ، وإذ ترى كنوزنا المعروضة فيها تدرك الحكمة فى وضع تمثالى ماريت باشا وشامبليون عند الباب ، وترى أن فرنسا أولى من مصر وأحق بتخليد ذكراهما ..

وليت الأمر قاصر على الآثار المصرية القديمة ، بل إنك تجد فى متحف اللوفر أيضاً قسما كبيرا ضخما للآثار الاسلامية ، وتراه للاسف الشديد يفوق دار الآثار العربية عندنا فى قيمة الآثار المعروضة فيه وإن لم يفقه فى عددها .

ولاتعجب بعد ذلك وأنت تتابع طوافك بباقى أرجاء اللوفر إذ تمر بادارة المتحف فترى جناحا منهـــا مستقلا بذاته وعليه لافتة كبيرة « إدارة التحف الشرقية » ..

وقد تمر فى طريقك إلى اللوفر « بميدان الكونكورد » الذى تتوسطه المسلة المصرية وتأخذك روعة الميدان وعظمته .. وكيف عنوا بإحاطة المسلة المصرية بالنافورات الجميلة وبثمانية تماثيل منثورة مع امتداد دائرة الميدان حول المسلة كل منها مهدى من مدينة من مدن فرنسا الثمانية الكبيرة لشقيقتها الكبرى « باريس » .. وتأخذك الروعة أكثر ليلا إذ ترى المسلة غارقة فى النور والأضواء تغمر الميدان حولها وتذوب مع مياه النافورات .. ودائماً ترى جموعا من الناس حول المسلة تتأمل وتسحر من عظمة الصناعة والفن الفرعونيين القديمين .



المسلة المصرية تتوسط ميدان الكونكورد ، والأضواء تغمر الميدان حولها وتذوب مع مياه النافورات

وقد تنتفخ أوداجك وعلكك الزهو والفخر . ولكنك ماتلبث أن تغرق فى الأسى والأسف بعد أن تلمح عن بعد الكتابة الفرنسية المنقوشة على قاعدة المسلة ، وتقترب منها لتقرأها وأنت واثق أنها حتما كلمة اعتراف بجميل مصر وفضل عاهلها محمد على الكبير الذى أهدى المسلة لصديقه ملك فرنسا « لويس فيليب » فإذا بك تصدم عندما لاتقرأ على القاعدة سوى هذه العبارة « بحضور الملك لويس فيليب الأول وضعت هذه المسلة المنقولة من الأقصر إلى فرنسا على هذه القاعدة بواسطة م . ليباس المهندس بين تصفيق عدد هائل من الناس » .. ولا كلمة عن المهدى العظيم وعن بلده الكريم ، أو تاريخ المسلة وأصحابها وكأنما « السيد م . ليباس » المهندس هو صانعها .

* * *

ونعود إلى زيارة اللوفر .. لقد كان هذا المتحف قصرا ملكيا . . أضخم وأعظم قصر ملكى فى التاريخ القديم والحديث معا .. وقد بنى على مر أربعة قرون .. بدأ بناءه ملك فرنسا « فرنسيس الأول » فى بداية القرن السادس عشر وانتهى فى القرن التاسع عشر فى عصر إمبراطور فرنسا « نابليون الثالث » .. وهو عبارة عن بناء مربع ضخم مؤلف من أربعة أجنحة تحيط بفناء واسع يمتد حتى يتصل بحدائق التويلرى ثم حدائق الشانز لزيه حتى قوس النصر مسافة ميلين كاملين . ووسط الفناء قوس نصر كاروزل Carrousel Triumph Arch ويطل القصر على نهر السين .. وقد بنى فى موضع حصون المدينة التى بناها « فيليب أوجست » ملك فرنسا فى بداية القرن الثالث عشر .

أما كيف صار القصر العظيم متحفا فلذلك قصة ترجع إلى الملك فرنسيس الأول ، الذى كان مغرما باقتناء التحف فجلب من إيطاليا بعض اللوحات الفنية الخالدة . اثنتى عشرة لوحة مازالت هناك ، وبضع تماثيل من بينها تمثال « ديانا » المشهور . وحلى بها قاعات القصر . وسار الملوك خلفاؤه على نهجه حتى جاء لويس ١٤ فبلغت التحف ٢٠٠ قطعة عدا ، وكان لويس ١٤ مجنونا بهواية جمع

التحف فلم تجيء سنة ١٧١٠ حتى كان قد رفع عددها فى قصر اللوفر من ٢٠٠ إلى ٢٫٣٧٦ قطعة .. وأصبح القصر يتيه ويعتز بتزينه بهذه المجموعة الضخمة من التحف العالمية .. حتى إذا ماجاءت الثورة الفرنسية فى سنة ١٧٩٣ جعلت حكومة الثوار من قصر اللوفر متحفا عاماً للناس .

وأعظم ما فى اللوفر اللوحات الفنية لرسامى العالم الخالدين .. موريللو .. فيلا سكويز .. سبستيان .. ليوناردو دافنشى .. ميليه .. وغيرهم من عباقرة فنانى المدارس الفرنسية والإيطالية والأسبانية والهولندية ومدرسة النهضة ومدرسة العصور الوسطى والمدرسة الحديثة .. ويعتز المتحف باقتناء لوحتين لايقومان بمال .. لوحة « مونا ليزا mana lisa » لليوناردو دافنشى .. ولوحة « انجيلوس angelus » لميليه .. وبعض هذه اللوحات يغطى الحائط بأكمله .. وقد روعى فى تنسيقها ووضعها أن تعلق اللوحات ذات الألوان الداكنة على الحوائط التى تقابلها النوافذ فى قاعات العرض حتى يوضحها النور للزائر .. وعلى العكس تعلق اللوحات ذات الألوان الزاهية ضد النور إذ توضحها ألوانها للرائى .. وبعد الصور التماثيل .. وأعظمها وأروعها « إيزيس » و « فينوس ميلو » كما قدمت .. وقد قسم جناح الصور إلى قاعات خاصة لكل مدرسة من مدارس الفن التى فصلتها .. أما النحت فقسم إلى أقسام .. القسم الفرعونى المصرى .. القسم الأغريقى .. القسم الرومانى .. القسم الإسلامى .. القسم الأشورى ..

وعدا الصور والتماثيل هناك أقسام كبيرة معروضة فيها مجوهرات فرنسا وبينها سيف لويس الرابع عشر ومرآة الملكة مارى دى مديشى المحليين بعدد كبير من فصوص الماس زنة ٢٠ قيراط .. ثم أثاث قصور الملوك فى قصر كبير آخر .. وقسم للتحف الزجاجية والبلورية .. وآخر للفخار .. وقسم لآثار المعابد والكنائس .. وقسم لأشغال الميناء .. وقسم للفسيفساء .. وغيرها ..

إنك تحتاج بحق لأسبوع كامل لتزور اللوفر . .

ونفس القصر وقاعاته جديرة بالمشاهدة والدرس .. فكلها تحف فى البناء والزخرفة .. وإذا ما أتيحت لك زيارة اللوفر فى إحدى الليالى التى يفتح فيها ليلا ما بين التاسعة ومنتصف الثانية عشر ليلا .. وشهدت آثاره غارقة فى أضواء الكشافات الكهربائية القوية فإنك تستمتع بليلة تكون من ليالى عمرك التى لا تبرح ذكراها رأسك ..

وفى القسم المصرى تشعر حقاً بالزهو والفخر إذ ترى طالبات وطلبة مدارس الرسم والمدارس الصناعية والفنانين من مختلف شعوب العالم وأصحاب دور الأزياء يزحمون قاعات هذا القسم وينقلون الرسوم الفرعونية لينتفعوا منها فى دراساتهم أو معاشهم أو يستنبطون منها الأزياء التى يأخذها العالم عن باريس دائما ..

وتمر وأنت خارج من اللوفر بردهة كبيرة تجد فيها عدة أقسام .. إحداها يبيع الكتب التى تدرس الآثار .. والثانى يبيع مجاميع الصور .. والثالث يبيع أفلاماً سينمائية من مختلف المقاسات تسجل زيارة المتحف وتستطيع أن تشترى هذه الأفلام وتعرضها على أسرتك فى بيتك على آلة العرض السينمائية الصغيرة المنزلية .. وأهم أقسام هذه الردهة قسم لبيع نماذج صغيرة دقيقة من الجبس للتماثيل المعروضة فى المتحف يصنعها عدد كبير من الفنانين ويقبل على شرائها زوار المتحف ، وبذلك يتيح المتحف لهؤلاء الفنانين سبيل الرزق والحياة .. وحبذا لو فعلنا ذلك فى متحفنا المصرى مع فنانينا .

قضية مدام كورير

كانت المصادفة المحضة التى جمعتنى بهذه السيدة « مدام كورير » فى محطة الطيران بقلب باريس « محطة الأنفاليد » أنا فى طريقى إلى رومة ، وهى إلى لندن لتقضى أياما لتستعيد قواها وأعصابها التى حطمها هذا الحادث الذى أقام فرنسا كلها وأقعدها .. وكان فى توديعى بعض الأصدقاء الباريسيين ، فلفتوا نظرى إليها .. وقدمونى إليها ، واستطعت أن أظفر منها بتفصيلات الحادث التى لم تروها لأحد قبلى سوى المحققين :

* * *

هى سيدة تناهز الأربعين من عمرها ، طويلة القامة ، يجلل شعرها المشيب ترتدى ملابس سوداء أقرب إلى ملابس الرجال منها إلى ملابس النساء ، وتبدو لمن يراها على التو نموذجا لسيدات الأعمال . . . هذه هى السيدة التى قضت ٤٨ ساعة من الهول والرعب ربما لم تصادفها امرأة من قبلها .

جلسنا فى مقصف محطة الطيران . . . واستلقت هى على مسند الفوتيل ملقية برأسها إلى الوراء تحدثنى وهى تتطلع إلى السقف وتغمض عينيها ما بين آونة وأخرى كأنما تبعد عن ناظريها أشباحا مرعبة مخيفة .. قالت :

« بدأت المأساة منذ أسبوعين . . فى يوم السبت الساعة الخامسة مساء . . . كنت على موعد فى هذه الساعة مع مسيو « جاك لاباتى » مستأجر « فيلا الأحلام » إحدى الفيلتين اللتين أملكهما فى « فيلفرانش » لأنتهى من الاتفاق على شرائه هذه الفيلا بمبلغ ٦ ملايين من الفرنكات كما سبق واقترح على . . . فركبت سيارتى إلى هناك .

ووصلت إلى الفيلا فى الميعاد ، وكان لاباتى فى انتظارى فاستقبلنى استقبالا حارا وأدخلنى غرفة الاستقبال حيث وقع لى تعهداً بشراء الفيلا . وفى طريق الخروج دعانى لمعاينة خلل فى الجراج لأصلحه قبل أن نتمم العقد النهائى للبيع . وذهبت معه إلى هناك وما كدت أدخل أمامه حتى أغلق الباب من خلفه بسرعة ودفعنى إلى الأمام فانكفأت على وجهى وعبثا حاولت القيام إذ تبينت أنى وقعت فى شبكة داخل حفرة عميقة كتلك الفخاخ التى يصيدون بها الحيوانات الضوارى فى غابات أفريقيا .. وصرخت واستغثت ولكن مامن مجيب .. واضطررت إلى السكوت عندما ظهر لى وأنا أنظر فى المكان حولى أن لاباتى قد أحكم إعداد شراكه من قبل ، فقد غطى باب الجراج من الداخل ببطاطين قديمة سميكة كما يفعلون فى استديوهات الإذاعة لمنع تسرب الأصوات إلى الخارج ، كما أحاط نافذة الجراج الوحيدة باطار من النسيج الأسود ليمنع تسرب أى خيط من النور إلى الداخل .

واقترب منى « لاباتى » وقال لى :

— لا فائدة من الصياح . . لن يسمعك أحد . . كونى عاقلة وعملية . . إنها مسألة « شغل » وما عليك إلا طاعتى . . وأول ما ستفعلينه هو أن تحدثى أهل بيتك بالتليفون تطمئنيهم على غيابك المنتظر وألا يقلقوا على عودتك . .

ومد يده إلى التليفون . . حتى التليفون مده بسلك طويل لا يقل طوله عن ٥٠ متراً من الفيلا إلى الجاراج . . ورفضت التحدث بالتليفون وأصررت على الرفض . . فنحى التليفون جانبا ، وجاءنى بورقة وقلم فى يسراه بينما أمسك بيمناه مسدساً ضخما ، وقال لى :

— والآن فلتكتبى ما أمليه عليك . . فإن رفضت فسيتولى هذا المسدس الرد عليك عنى . .

واضطررت للكتابة ، كتابة ما أملاه على . . رسالة لأهل بيتى :

« لا تقلقوا على . . أصاب السيارة عطب فى الطريق . . والعمال يصلحونها

الآن .. لم أستطع محادثتكم بالتليفون لأنه بعيد .. ربما أعود مساء الأحد غداً » .
وبينما كان يضع الرسالة فى مظروف قلت له :

— إن سيارتى فى الخارج أمام الفيلا ، وربما رآها أقاربى المقيمون فى الشارع فى فيلتى الثانية ؟

— وهل أنا أحمق حتى يفوتنى هذا .. لقد رحلت سيارتك يا سيدتى من نصف ساعة تقودها سيدة صديقة لى تشبهك تمام الشبه كما لو كانت توأماً لك . وهذه السيدة استقلت سيارتى وعادت بها إلى باريس .. وما زال البوليس يبحث عنها حتى الآن .

وذهب لاباتى .. وتركنى وحدى بعد أن أغلق الباب .. وعبثا حاولت التماس طريق النجاة طول الليل .. و فى الصباح عاد إلى وفى إحدى يديه فنجان قهوة وكعكة صغيرة .. وفى اليد الأخرى آلة عجيبة .. عبارة عن اسطوانة يخرج منها حبل من الجلد المتين ينتهى بحية معقودة عليه .. ووضع فنجان القهوة أمامى .. وأمسك بالآلة الصغيرة يديرها أمام عينى وقال لى :

— أنا مهندس كما تعلمين .. ومهندس عبقرى كما لا تعلمين .. وهذه الآلة آخر مبتكراتى .. مشنقة صغيرة .. مشنقة جيب .. وسترين كيف تعمل وأسرع فأوثق يداى إلى ظهرى وقدماى كذلك .. ثم وضع الحية حول عنقى وثبت الاسطوانة أعلى رأسى خارج الحفرة التى أصبحت زنزانتى .. وقال لى :

— والآن .. أى حركة منك تجعل الجهاز يعمل أتوماتيكيا .. يشد الحية حول عنقك حتى يزهق روحك .. وليست الحركة فقط هى التى تحركه بل أى صيحة تصدر من فمك ..

وسكت برهة ثم عاد يقول لى :

— سأتركك هكذا ضيفة هذا الجهاز حتى الظهر .. ولكن أرجو ألا تتيحى له فرصة العمل لأننى مشغول .. عندى ضيوف سيتناولون معى طعام الغداء .. فلا تزعجينى أرجوك ..

وتركنى والصرف .. وبقيت طوال ١٢ ساعة .. من السابعة صباحا حتى السابعة مساء أسيرة هذه الآلة الجهنمية .. لا أستطيع حراكا .. حتى مجرد التنفس كنت أحسب له حسابا .. خشية أن تتحرك الآلة أتوماتيكيا لهلاكى كما حذرنى سجانى المجرم .. وأخيراً جاءنى وقال لى ساخراً :

— لقد قضيت وقتاً طيباً بهيجاً مع ضيوفى .. وأرجو أن تكونى قد فعلتى مثلى مع اختراعى الصغير اللطيف .. ومع ذلك سأعفيك من ضيافته الليلة لتنامى ..

وخلع الحية من حول عنقى وخرج دون أن يحل قيودى .. وعاد إلى مرة أخرى فى الصباح الباكر ومعه آلته الجهنمية .. وأيقظنى من نوم اضطررت إليه من فرط تعبى وإجهادى .. وثبت الحية إلى عنقى ووضع الأسطوانة مكانها ، ثم جلس أمامى وقال لى :

— آمل أن أريحك منها قريبا ..

وتركنى .. ولم يعد إلا بعد ٢٤ ساعة كانت أشد ساعات عمرى هولا .. عاد ليخبرنى أنه مضطر للخروج لعمل عاجل ، وسيعود فى المساء .. وخرج .. وتركنى ١٢ ساعة أخرى من ساعات الهول والرعب .. ولما عاد كنت قد بلغت الغاية من الجهد والإرهاق والجوع .. فلم أتردد فى إطاعة فى كل ما طلبه منى .. حررت له شيكات يقبض بها مجموع أموالى المدخرة فى البنوك كلها ومجموعها ٦٠ مليون فرنك ، ووقعت له عقدين نهائيين ببيع الفيلتين اللتين أملكهما .. وعقد ثالث ببيع السيارة إليه ..

وبعد هذا أعفانى من شر المشنقة الصغيرة ، وجاءنى بالطعام .. وحجزنى يومين آخرين ريثما صرف الشيكات من البنوك وسجل عقود البيع .. ثم أطلق سراحى وهو يحذرنى لو بحت بكلمة واحدة أن أقتل فى الحال ..

ووعدته بالكتمان .. وأخرجنى من سجنى .. وتحاملت على نفسى حتى وصلت إلى بيتى .. ولم أتردد فى إبلاغ البوليس .. وقبض على « لاباتى » وضبطت مشنقته الصغيرة .. وتبين بالتجربة أنها حساسة بالفعل وشديدة الفتك

كما ذكر لى .. وقد أنكر فى التحقيق كل شىء .. وتبين أنه ليست له سوابق اطلاقا بل على النقيض أنه حسن السمعة نقى السريرة .. وأنه مهندس نابغ بالفعل ..

وأصر على الإنكار رغم جهود المحققين .. وبعد ثلاثة أيام من القبض عليه وجدوه ميتاً فى زنزانته فى السجن .. قطع شريان يده بموسى حلاقة ..

وصمتت « مدام كورير » واعتدلت فى جلستها أمامى وقالت لى :

ـــ هذه هى المأساة كلها .. وقد ذهب بطلها وذهب سرها معه .. وقد يبين هـذا السر إذا ما قدر للبوليس أن يقبض على تلك السيدة .. توأمى .. التى فرت بسيارتى ولم تظهر لا هى ولا السيارة حتى اليوم ..

حدث فى باريس

« هذه مجموعة من الحوادث التى وقعت فى باريس والقضايا التى نظرتها المحاكم الباريسية خلال الأسابيع التى قضيتها فيها . . ومعظمها يتسم بالطابع العاطفى . . فالعاطفة تتحكم فى حياة أهل مدينة النور وتسيطر على إرادتهم وتصرفاتهم فى عنف وغلبة » .

* * *

أول حكم من نوعه :

بينما كانت « السيدة بيرينى » تسير فى شارع رويال بباريس إذ صدمت سيارة رجلا على مقربة منها فأصابته إصابات خطيرة ، ولكنها وإن لم يمسها من الحادث شىء رفعت قضية على صاحب السيارة تطالبه بتعويض ١٠٠٠٠٠ فرنك لتسببه فى رؤيتها منظرا مفجعا أهاج أعصابها ولا تستطيع أن تمحوه من ذاكرتها . . وفعلا قضت المحكمة بإدانة الرجل وحكمت عليه بأن يدفع للسيدة المدعية ٢٠٠٠٠ فرنك تستعين بها فى الترويح عن أعصابها كى تتخلص من آثار تلك الصدمة ، ولعل هذا أول حكم من نوعه فى العالم .

قضية الشيطان :

هكذا يسمون هذه القضية فى باريس . . وما زالت منظورة أمام القضاء منذ عام مضى . . ففى سبتمبر سنة ١٩٤٩ قتلت « الكونتس مارى إميلى فيرنيت لورد » أثناء سهرة راقصة فى قصرها ، ووجد مغمداً فى صدرها خنجر محلى بالجواهر الثمينة ، واتهم بقتلها « الكونت ونسلاس كلوبفيل » . .

ولما قبض عليه قال للمحقق أنه لم يقتل الكونتس ، وأنه لم تقتلها يد بشرية فى الحقيقة وإنما قاتلها هو شبح مريع لأحد أبناء الجنس البشرى فى العصر الحجرى أى منذ ٥٠٠٠٠ سنة ، وأن هذا الشبح كان يغار على الكونتس لحبه إياها فأثار عاصفة غضبه على من حضروا حفلة زفافها وقتل منهم ١٢ وأخيرا انقض على الكونتس . . وهو لا يظهر فى وقت ارتكابه لجناياته بشخصيته بل يتصيد شخصاً يسلبه إرادته ويجعله أداة لارتكابه الجنايات ، وقد كان الكونت ونسلاس كلوبفيل آخر ضحاياه .

والغريب أن زوج الكونتس رجا المحققين ألا يمسوا الكونت كلوبفيل بأذى . . مقتنعا بالخرافة التى رواها .

وتبين من التحقيق أن السبب فى تعارف الكونتس القتيلة والكونت المتهم بقتلها أنهما كانا يحضران معاً فى جمعية لتحضير الأرواح فى باريس اسمها « ساديانا » . . وهناك عرفت الكونتس الشبح الوحشى أثناء تحضير الأرواح . . وقال أعضاء الجمعية إن الكونتس أخبرت الوسيطة بأنها قد فزعت كل الفزع عندما رأت هذا الشبح ماثلا أمام المجتمعين وطلبت إليها أن تصرفه بمنتهى السرعة لأن له تأثيراً شديداً فيها ، وقد وصف أحد هؤلاء الأعضاء حالة ظهور الشبح فقال :

— لم تقو الوسيطة على حمل رأسها ومالت إلى الأمام وابتدأ ينتشر حولها بعض الضباب ، وكانت أميلى تراقب ما يحدث باهتمام ، ولكنها ما لبثت أن صرخت بفزع وحلقت عينها ووثبت واقفة فتكاثف الضباب وتكون فيه شبح الإنسان الوحشى . . وكانت نظراته الموجهة إلى إميلى شديدة الرعب وشنيعة . . وتقدم نحوها باسطاً ذراعيه الطويلين إليها . . فصرخت الكونتس من شدة الفزع وتلاشى الشبح على الأثر فى الفضاء . .

وأكمل الكونت المتهم كلام الشاهد فقال :

— ولم تستطع جمعيتنا أن تمنع الشبح من حضور اجتماعاتنا ، وكانت الكونتس تتألم من رؤيته وكان يشير إليها بالتهديد والوعيد دون أن يفهم أحد سواها من الحاضرين .. ولما ضاقت الكونتس به تخلفت عن المجيء إلى الجمعية ، بل وتخلت بالكلية عن حضور جلسات تحضير الأرواح والاهتمام بها . . وتزوجت . . ورأى الشبح الوحشى أن ذلك لا يتفق مع كرامته بعد أن طلبها لنفسه وأبت عليه ، فهاج غضبه عليها وعلى كل من حضر زفافها فقتل ١٢ منهم فى ظرف ٥ سنوات متعاقبة . . وكان أولهم القسيس شارل كاديون الذى عقد الزواج ، وهو رجل قوى البنية والصحة كما قرر الأطباء الذين يعرفونه . . ثم مات هنرى فيرنيت ابن عم للكونتس فجأة وهو فى عنفوان صحته على ظهر الباخرة أثناء سفره إلى الأرجنتين . . ومات بعده جورج فيرنيت أخوه بالحمى فى الهند الصينية حيث كان يعمل . . وكان يعيش معه أخوه ألفريد فوجد بعد وفاته بأيام قتيلا فى بيته . . وذهب أخوهما ادموند إلى باريس فمات فى صباح يوم وصوله بالسكتة القلبية ، وماتت عمة الكونتس بالسكتة القلبية أيضا ذات يوم وهى تقرأ جريدة الصباح .. ومات الستة الباقون أيضا بالسكتة القلبية . .

هذه هى القصة التى يحير قضاة باريس الفصل فيها . .

بالإكراه ! ؟

أتهمت « مدموازيل آمى دى بيمونت » بأنها أرهقت راعى كنيسة بلدة « سنت لو » من ضواحى باريس الريفية بشغبها وتصرفاتها الغريبة ، كما اتهمت هى وأمها بأنهما جعلا من الكنيسة المذكورة مسرحا للفوضى والاضطراب عقب صلاة الأحد . .

وتخلفت « المدموازيل آمى دى بيمونت » عن حضور الجلسة ، وحضرت أمها ، ولما سئلت عن ابنتها قالت إنها لا تدرى أين مقرها ، وقال نائب المحكمة فى مرافعته :

— إن المدموازيل آمى دى بيمونت قد جعلت الحياة لا تطاق فى « قرية سنت لو » . . وقد اتخذت « الأب سيمور » راعى كنيسة هذه القرية هدفاً لتصرفاتها الشاذة ، فهى ترسل له الرسالة إثر الرسالة تكاشفه بحبها إياه ، ولم تدع أسلوباً من أساليب الغرام إلا وكتبته له فى رسائلها . وقد أسمت نفسها فى إحدى هذه الرسائل بأنها « روحه الطيبة » وأنه لا بد له من أن يتزوجها .

وقف « الأب سيمور » أمام القاضى يدلى بشهادته . . وهو متوسط العمر جذاب الملامح . . قال :

— لقد تحملت فنون العذاب على يدى هذه الفتاة مدة ثلاث سنوات . . ولم يقتصر الخطب على ، بل تعدانى إلى المصلين وكل من يدخل الكنيسة من أهل القرية بما تثيره دائماً من ضوضاء وشغب . . حتى خاطبت الأسقف فى الأمر وسألته إن كنت أملك أن أمنع « مدموازيل آمى » من دخول الكنيسة فرد على بألا أفعل وأن أكتفى بتخصيص مكان منفرد لها لتجلس عليه كلما جاءت إلى الكنيسة .

وتلا الراعى الشهود . . شهدوا أنهم عقب صلاة المساء يوم ١١ أكتوبر أثارت الفتاة ضجة فتوسل إليها « الأب سيمور » أن تغادر الكنيسة فبكت وقالت له :

— أنت جبان . . وأنا لا أريد الآن الزواج منك . . وإن شئت أن تتزوج فلتختر لنفسك إحدى الأرامل اللاتى يغشين كنيستك .

ثم أغلقت باب الكنيسة من الداخل بعنف وأصرت على البقاء فيها قائلة أنها لن تبرح مكانها . . واضطر الأب سيمورأن يرسل فى طلب عسكرى بوليس ، وفى هذه الأثناء جاءت أم آمى وزادت الحال شغباً بانضمامها لصف ابنتها والتفتت إلى أخت القسيس — وكانت حاضرة — وقالت لها :

— أنا أعلم أنك لا ترتاحين لزواج ابنتى من أخيك ، ولكن حرام أن يعيش هكذا وحيداً فريداً .

وجاء رجل البوليس . . ولما رأته الفتاة قادما التفتت إلى القسيس وقالت :

— يا لجبنك . . أبرجال البوليس تستعين . .

وحكم القاضى بتغريم الأم وابنتها . . كل منهما ١٥٠٠٠ فرنك ، وحذر الفتاة من العودة إلى مراسلة القسيس أو الاتصال به على أية صورة كانت .

يد القانون

تحت هذا العنوان بالخط العريض كتبت « جريدة فرانس سوار » أوسع جرائد فرنسا انتشاراً تقول « إن يد القانون قد تعوزها أحياناً العدالة والدقة فى توزيع العقاب توزيعاً يتناسب مع الجرم ، مما يجعل ملاك الرحمة يخفى وجهه خجلا كما أخفاه فى قضية جان فالجان فى بؤساء فيكتور هوجو .. ومصداقاً لهذا نورد فيما يلى سلسلة قضايا عرضت اليوم على محكمة جنوب السين :

أتهمت « مدام فلورانس ريفير » بسرقة دريس لأرانبها لايزيد ثمنه على ٤٠ فرنكا — أربعة قروش مصرية — فبكت أمام القاضى بكاء مراً وقالت إنها لم تك لديها نية سيئة إذ أخذتها من فناء جارها المجاور لفنائها وكانت تظنه قد ألقى بهـــا مع « الزبالة » . . . ومع ذلك حكم عليها القاضى بغرامة ١٠٠٠٠ فرنك .

وتلتها قضية أتهم فيها « الأخوان جورج وريمون كوندات » وهما جزاران بأنهما منذ أمد بعيد وهما يتجران فى لحوم عفنة مصابة بالتدرن ، وأن البوليس ضبط هذه اللحوم عندهما وأعدمها ، وصور المدعى جريمتهما بالفظاعة والشناعة ومع ذلك حكم القاضى على كل منهما بغرامة ١٠٠٠٠ فرنك .

وجىء أمام المحكمة فى قضية تالية بشاب رث الملابس اسمه «جورج دنفرملين» متهما بأنه سرق ثلاثة قطع من الشيكولاته . . فقال إنه عاطل عن العمل ، ويعلم أن ما اقترفه جريمة ، ولكنه يكره ولايطيق أن يرى زوجه وأطفاله يتألمون ويشكون الطوى ، وأنه ضاقت به الحال ولزمه النحس حتى اضطر إلى أن يصنع من بطاطين فراشه ثياباً لأطفاله تقيهم برد الشتاء ، وأنه هام على وجهه فى كل أنحاء باريس يبحث عبثاً عن عمل حتى قطع فى يوم واحد على قدمية ٣٠ ميلا وفى طريق عودته رأى قطع الشيكولاته فى واجهة أحد المحلات القريبة من بيته فامتدت يده إليها ولم يحس بنفسه إلا وهو فى قسم البوليس .. وكان رد القاضى أن حكم بالسجن شهراً .

٣٠٠٠٠ مليون فرنك :

هذه قضية ضخمة رفعها « نيفوك تيبرى » وهو ضابط بحرى على المعاش على الحكومة الفرنسية يطالبها بدفع مبلغ ٣٠٠٠٠ مليون فرنك — يعنى مايعادل ٣٠ مليون جنيه مصرى — يدعى أنها آلت إليه بطريق الميراث عن جده الأعلى « جان تيبرى » الذى كان يقطن فى قصره الشهير باسم الأسرة فى البندقية وتوفى سنة ١٦٩٥ عن ثروة قدرها ٤٠٠ مليون فرنك . . وأن أوراق ومستندات هذه الأسرة سلبتها عصابة من اللصوص ليحصلوا على هذا المال من حكومة البندقية ، ولكن أمرهم اكتشف وقبض عليهم وحكم عليهم بالاعدام . وقد أودع المال أحد مصارف البندقية حتى استولى عليه نابليون بونابرت عندما فتح إيطاليا وأخذه معه إلى فرنسا حيث دخل عهدة الحكومة الفرنسية من ذلك العهد . وهو يبلغ الآن بإضافة الأرباح القانونية إليه ٣٠٠٠٠ مليون فرنك .

وهذه أول قضية من نوعها .. ابن القرن العشرين يطالب بمال القرن السادس عشر .. ويطالب حكومة بمالها .

فص ليمونه :

فى أحد البروفات فى ملهى « الفولى برجير » فى باريس تناولت الراقصة فيرولين فص ليمون وأخذت تمصه بلسانها .. وفجأة صرخ عازف الكونترابست فى الأوركسترا وألقى آلته الموسيقية من بين يديه واندفع خارجا من الملهى ... وتبين أنه يكره رؤية الليمون ومذاقه لحالة عصبية لازمته منذ صباه .

وغضب مدير الملهى ففصل الراقصة للتو . وقد رفعت الراقصة قضية على المدير تطالبه بتعويض مقداره أجر شهر لأنه فصلها بدون سابق إنذار ، فحكمت لها المحكمة بالتعويض الذى طلبته وقالت فى حيثيات الحكم « إن الموسيقى هو المسئول الوحيد لأنه تأثر لرقته من شىء خارجى لم يمسه » .

ليالى باريس ؟!

تنفرد باريس بين عواصم العالم كله فى أنها تبيت حتى الصباح غارقة فى لجة من الأضواء المشرقة التى تخطف الأبصار وتخلب الألباب .

وإنك إذ تعيش فى باريس وإذ تحيا فى لياليها لتنكر ما قرأته عن روعة وسحر ليالى ألف ليلة ، وترى أن ليلة من ليالى باريس أشد روعة وسحراً وخلوداً .. وعبثاً تحاول وأنت فى باريس أن تذهب إلى فراشك مبكراً قبل انتصاف الليل .. فما يكاد يحتويك فراشك حتى تنعكس أنوار باريس على نافذتك فتبهرك .. ويتبين لك أنك تجرم فى حق نفسك إذ تحرمها متعة سهرات باريس والناس من حولك غرقى فيها منعمين بجنانها .. ولا تلبث أن تهب من فراشك وترتدى ملابسك على عجل وتهبط إلى لجة أنوار المدينة فتلقى بنفسك فيها ..

وإنك لتنعم بكل ما تشتهيه فى ليلتك .. فباريس كريمة مضيافة تمنح ضيوفها كل ما يشتهونه ويهوونه فى سخاء وإغداق ..

إن المدينة الكبيرة كلها لا تنام الليل .. ومجال الاختيار أمامك واسع .. جد متسع لتقضى ليلتك حسب هويتك ومشربك .. إن كنت رجل دين فالكنائس الكبيرة الضخمة مفتوحة أمامك . المادلين .. نوتردام .. الساكركير .. سانت ميشيل .. سنت بول .. وغيرها عشرات .. يستقبلك محرابها للصلاة فى أى ساعة ، ولا تخلو منابرها من واعظ .

وإن شئت أن تجلو بصرك بأنوار المدينة استطعت أن تقطعها طولا وعرضاً على قدميك وتستمتع بليلة عبقرية . ستقف فى ميدان الكونكورد مبهور الأنفاس إذ ترى مسلتنا المصرية أمامك كعمود من الفضة . . وترى الأنوار تنطلق من أفواه النافورات المحيطة بالمسلة مع الماء المتدفق منها . وترى التماثيل العديدة المنثورة فى الميدان غارقة أيضاً فى الأضواء . وترى هذه الأضواء كلها

تنعكس على واجهة بيت ريشليو وقصر السفارة الأمريكية المطلين على الميدان . . وعلى صحيفة مياه السين وخلفها قصر لويس السادس عشر الصغير . وفى مشهد رائع فاتن يقصر عنه الوصف ويعجز . . وأضواء برج إيفل هى الأخرى فتنة وروعة تنعكس بظل أعجوبة العالم على صحيفة السين شريان باريس فيبدو الظل أشد روعة وفتنة من الأصل . . وقوس النصر فى ميدان الأتوال يبدو فى أنوار الليل أعظم وأمجد . . وفى كل مكان تذهب تبهرك الأنوار وتسحرك .

وإن كنت طالب علم تجد أمامك مكتبات الجامعة والمعاهد مفتوحة وتجد فيها طلبتك من مطبوعات ومنسوخات من أعرق الأزمنة وأقدم التواريخ ، وتجد المتاحف والمعارض تستقبلك بمعروضاتها وكنوزها التى تجلوها الأضواء وتخلع عليها فتنة فوق فتنتها وروعة فوق روعتها .

بقيت الملاهى . . تمسك بصحيفة اليوم . . باب الملاهى . . ويملأ فى صحف باريس صحيفة كاملة لأنه إذلا يخلو شارع من شوارعها من ملهى أو أكثر . تجد باب الملاهى هناك منظما منمقا مبوبا . . كل نوع من الملاهى وحده . . مسارح . . صالات للغناء . . قاعات الموسيقى . . ميوزيك هول . . سيركات . . دور السينما التى تعرض أفلاما فرنسية . . دور السينما التى تعرض أفلاما أجنبية مترجمة إلى الفرنسية بطريقة الدوبلاج . . دور السينما التى تعرض أفلاما أجنبية بلغتها الأصلية .

وأمامك من المسارح عشرات . . فى كل بوليفار مسرح أو أكثر .. ففى القرن التاسع عشر فى عنوان نهضة فرنسا بنت بلدية باريس هذه المسارح .. مسرح الأمبيجى .. بورت سنت مارتن .. الرنيسانس .. الأوبرا كوميك .. الشاتزليه .. الفاريتيه الذى بنى فى عهد الثورة الفرنسية ويعمل فيه الآن موريس شيفالييه .. الأوبرا كوميك .. ومسرح شايو أسفل القصر المعروف بهذا الاسم على ضفاف السين مقابل برج ايفل الذى بنى لمناسبة معرض ١٩٣٧ . . الأوديون ثانى مسارح باريس المشرف على حدائق لكسمبورج المشهورة

بنى فى القرن الثامن عشر واحترق فى سنة ١٨٠٧ وجـدد بناءه .. مسرح شاتليت فى ميدان شاتليت أكبر مسارح باريس بالنسبة لعـدد المقاعد فيه .. وفى نفس الميدان مسرح سـارة برنارد الذى يخلد ذكرى وعبقرية صاحبته المشهورة . . وفى مسرح الشـانزلزيه مسرحان . . أحـدهما للباليه والثانى للـكوميديات الخفيفة . .

ومسرح الـكوميدى فرانسيز أشهر مسسارح العالم بلا منازع . . تجـده فى الركن الغربى لقصر اللوفر .. بناه الملك فيليب العادل فى سنة ١٧٩٠ .. وجدد فى سنة ١٩٠٠ على أثر حريق هائل دمره .. وفرقة الـكوميدى فرانسيز أقدم فرق التمثيل فى العالم كله .. ألفها موليير فى سنة ١٦٨١ لتمثل رواياته .. وهذا المسرح حكومى .. وتعين الحـكومة ممثليه ومديريه .. وهو فى الحقيقة مسرحان .. ففيه صالتان « صالة ريشيلو » و « صالة لكسمبورج » فى كل منهما مسرح تمثل عليه شعبة من الفرقة . . ولا بد لك من أن تحجز مقعدك فى الكوميدى فرانسيز قبل الميعاد بأشهر .. وإلا تدفع أضعاف ثمنها فى السوق السوداء ..

بقيت من قائمة مسارح باريس رأسها .. «الأوبرا» ويسمونها هناك « أكاديمية الموسيقى والرقص القومية Academie National De Musique & Dance .. وأوبرا باريس تعد بالنسبة لضخامة بنائها وسعته ، دون نظر إلى عدد المقاعد فيها إذ لا تزيد عن ١١٦٠ مقعداً .. وقد استغرق بناؤها تسعة سنوات .. من سنة ١٨٦٢ إلى سنة ١٨٧٠ .. وتأخر افتتاحها بسبب الحرب البروسية الفرنسية حتى سنة ١٨٧٥ .. وتزين واجهتها سلسلة تماثيل فنية رائعة أعظمها تمثال كاربو « الرقص » إلى يمين المدخل .. وفى أوبرا باريس متحف يضم آثار وتذكارات التمثيل فى فرنسا كلها .. ومكتبة ضخمة يجد فيها المخرج والممثل والمتفرج ما ينفعه ويفيده ..

وشأن دور السينما فى باريس شأنها فى لندن ونيويورك .. العرض فيها مستمر نهاراً وليلاً .. وقد يستمر عرض الفيلم سنة أو سنتين حسب نجاحه ..

وقد رأيت هناك « فيلم الرجل الثالث » فى سينما ستوديو يونيفرسال يعرض منذ عام ونصف بنفس الإقبال ونفس النجاح .. وتنفرد باريس بدور السينما التى تعرض الأفلام الإباحية المكشوفة ، وتعلن عن نفسها فى إغراء وجرأة .. والعجيب أنك لا ترى فيها باريسيا واحدا .. كل روادها من الأجانب زوار باريس أو من أهل قرى فرنسا الذين يهبطون باريس ..

وأشهر مسارح الموزيك هول فى باريس .. الفولى برجير .. والكازينو دى بارى .. والفاريتيه .. وفى المسرح الأخير يعمل موريس شيفاليه .. إنه ما زال معبود باريس .. وتستهويك أغانيه إن سمعتها فى اسطوانات أو فى الراديو أو ممن يقلدونه فى الكباريهات .. ولكنك تصاب بخيبة أمل إذا ما سمعتها منه شخصيا فى مسرحه اليوم .. نفس خيبة الأمل التى أصابتنا عندما رأينا مستنجيت عندنا فى القاهرة منذ عامين .. أو التى أصابتنا عندما رأينا منيرة المهدية منذ ثلاثة أعوام تحاول العودة إلى المسرح .. هؤلاء أفنوا زهرة حياتهم على خشبة المسرح وما زالوا على إخلاصهم ووفائهم له يريدون أن يلفظوا آخر أنفاسهم عليه .. ولكن الجمهور لا يحب رؤية المحتضرين .. لقد شاخ شيفاليه كما شاخت مستنجيت من قبله .. ودخل فى ذمة التاريخ ..

وشهرة « الكازينو دى بارى » شهرة مدوية فى الآفاق .. ربما تطغى على شهرة الفولى برجير .. وإن كان الاثنان يتنافسان فى تقديم الاستعراضات الراقصة الغنائية الضخمة الفخمة التى تتضافر فيها عبقريات فنية ملهمة تجعلها من الأحلام بحيث تخرج منهما وأنت لا تصدق ما رأته عيناك وتكاد تكذبه . ومسرح الكازينو دى بارى بناه أصلا « ريشليو » فى سنة ١٦٣٢ ليكون مسرحا خاصاً به وبحاشيته وضيوفه .. وتعاقبت عليه أحداث وجدد بناءه عشرات المرات .. وكان فى عهد من العهود داراً للسينما .. وفى عهد آخر ساحة للباتيناج ، ولكنه منذ سنة ١٩١٧ حافظ على بقائه حتى اليوم محتلا زعامة مسارح الميوزيك هول فى العالم كله .. ويبلغ عدد العاملين فيه ما بين ممثلات وراقصات ومغنيات وممثلين

وراقصين ومغنيين وعمال وإداريين حوالى ١٠٠٠ ويفخر كازينو دى بارى بأنه كان المعهد الذى تخرج فيه النجوم العالميين سواء فى المسرح أو السينما .. مستنجيت . ريمو .. موريس شيفالييه .. سيسيل سوريل . تينوروسى .. بيرل وايت .. جوزفين بيكر .. أخوات دوللى .. وتذهب لحجز تذكرتك فى الكازينو دى بارى فتقف ساعات فى الصف الطويل أمام نافذة التذاكر وتقرأ أمامك أسعارها :

« فوتيل أوركستر ١٥١٠ فرنكا ، مخصوص أوركستر ١٠٠٦ ، أوركستر ٨١٠ ، كرسى لوج ٩١٠ ، كرسى بلكون ٦١٠ ، أعلى التياترو ٢٥٥ ، وقوف ١٥٥ » .

والفرنك يعنى « مليم » بعملتنا .. وتهولك فداحة الأسعار .. ولكنك إذ تشهد البرنامج تجد أنك لم تدفع شيئاً مذكوراً .. وتعطيك عاملة شباك التذاكر التذكرة كما يروق لها ، تسألك فقط إن كنت تريد مقعداً متقدما أم متأخراً وفى الوسط أو إلى الجانبين .. ولا تجد أمامها « رسم الصالة Plan » لتختار عليه .. وإنما بعد أن تأخذ تذكرتك تذهب إلى ركن فى المدخل فتجد نموذجا « ماكيت » للمسرح وترى مكان كرسيك وتطمئن إليه .. وأنت مجبر إذ تدخل الكازينو أن تترك معطفك عند الباب وتدفع مقدما ١٠٠ فرنك أجراً لذلك ، وأن تشترى البرنامج وتدفع ثمنا له ٥٠٠ فرنك .. وترى مدخل الكازينو « الصالة الداخلية » معرضاً أو سوقا تعرض فيه بيوت الأزياء والفراء منتجاتها ويبيع الرسامون لوحاتهم ، ويرسمون لك صورة سريعة بالفحم تدفع فيها « ماقسم » أنت وأريحيتك وتقديرك لفن راسمها . وترى فيها أيضاً فتيات حسانا يبعن لك تماثيل متحركة من البلاستيك اللين (عرايا) وينادين عليها :

— تذكار الكازينو دى بارى . سوفنير Souvenir .

وفتيات حسان أخريات يبعن الأيس كريم أو السجائر أو المشروبات المختلفة فى البوفيه ، ويغريك حسنهن وظرفهن وتتورط فى الشراء .

وتشهد البرنامج . على قسمين . فترى أضخم وأروع ستائر وديكورات شهدتها فى أحلامك . وتتابع أمامك المشاهد الراقصة والغنائية واللوحات الحية الرمزية والألعاب البهلوانية . وكان البرنامج الذى شهدته فى الكازينو دى بارى استعراضا عنوانه « قائمة الحب .Le Menu D'Amour » وقد بدأ بمشهد سموه « فتح شهية (ابرتيف) » قدموا النافيه حسان الملهى فى استعراض مرن فيه بين مقاعدنا فى صالة الكازينو . وكان آخر مشهد فى هذا الاستعراض بعنوان « الفاكهة » رقصة أدتها راقصات الكازينو بملابس أمهن حواء .

وتدرك إذ ترى برامج الكازينو دى بارى أو الفولى برجير ضخامة نفقاتها بالنسبة للديكورات فقط ، أما الملابس فلا تكلف شيئاً لأن معظمها «ورق تين» . وماتراه عيناك وتسمعه أذناك فهما يؤكد لك أن بوليس الآداب فى باريس « كمالة عدد » وأن مظهر رقابته الوحيدة على هذه الملاهى تلك اللافتة المعلقة أعلى شباك التذاكر تحرم دخول الفتيات والسيدات وحدهن فى أماكن الوقوف Pramenoirs وهذه الأماكن خلف حواجز البناوير ، يقف خلفها المتفرجون الرقيق الحال أو الذين لا يحصلون على كرسى للجلوس . ويقبل عليها فئة ثالثة أيضاً هى تلك التى يعنيها بوليس الآداب ويحرم من أجلها دخول الفتيات والسيدات وحدهن فى هذه الأماكن إذا كان لايصحبهن رجل .

وينتهى الاستعراض وتهبط إلى بدروم الكازينو دى بارى فتجد كباريه شرقى جوه جزائرى تجلس فيه على « الشلت » على الأرض فوق السجاجيد وتدخن التمباك وتشهد رقصات راقصات جزائريات ويخدمك عرب الجزائر وتعيش فى هذا الجو حتى مطلع الفجر .

ويشرك الكازينو دى بارى والفولى برجير جمهوره معه فى استعراضاته . ويكافىء المجيد منهم بزجاجة شمبانيا .

أما الكباريهات . أو الأندية الليلية فى باريس . فلا عدد لها ولاحصر . وأشهرها « التاباران » حيث تشهد استعراضا بديعا فى مسرحه الدائرى . وإذا

ما دخلت هذه الـكباريهات وجدت فى انتظارك على أى مائدة تجلس إليها زجاجة شمبانيا تدفع فيها ٥٠٠٠ فرنك ، أى خمسة جنيهات ، ولاتستطيع منها نجاة . ودخول بعض الأندية الليلية فى باريس مغامرة غير مأمونة العواقب حيث يتردد عليها « بلطجية باريس » . ولاتعجزهم الوسيلة لجر شكل « الغشيم » الذى لايصعب عليهم اكتشافه بين رواد المحل . وتـكون النتيجة إن لم يخرج بإصابة أو عاهة أن يفقد كل مافى جيبه من نقود على الأقل .

هذا استعراض سريع لليلة من ليالى باريس ، وليالى باريس تملا أضعاف أضعاف ماملأته ليالى ألف ليلة من مجلدات ؟!

باريس . . . بعد منتصف الليل

باريس مدينة لا تنام الليل . . . وأنوارها لا تنطفىء أبدا حتى الصباح . . . وإذا ما انتصف الليل وأغلقت معظم دور السينما والمسارح أبوابها بدأت حياتها الليلية التى تعيشها فى « الأندية الليلية » . . . وأندية باريس الليلية تتفرد دون مثيلاتها فى جميع عواصم العالم بالغرابة والشذوذ والتقاليع .

ولقد شاءت الأقدار أن تكون أولى تجاربى مع نوادى باريس الليلية متسمة بشذوذ فريد بحيث لن تبرح ذكراها مخيلتى أبداً . . . فنى الليلة التالية فى المدينة الكبيرة خرجت من مأدبة صغيرة أقيمت لنا وكانت قد مضت دقائق على انتصاف الليل ، وإذا بصديق لى من مذيعى محطة إذاعة الأمم المتحدة يميل على أذنى قائلا :

— ما قولك فى قضاء الليلة فى ناد ليلى ؟

ونظرت فى ساعتى وقلت :

— الساعة الآن الثانية عشر وربع ؟

— حسن ... إن الأندية الليلة هنا لا تفتح أبوابها إلا إذا انتصف الليل .

واستوقف صاحبى سيارة أجرة ودعانى إليها ، وتبينت سائق السيارة فإذا بها سيدة ضخمة الجثة ، وصاح صاحبى فيها وهو يغلق باب السيارة خلفنا :

— Chez Carol . . . إلى نادى كارول . . . فى الشانزلزيه

وأجابت السائقة البدينة بضحكة عالية أعقبتها بقولها :

— وى مسيو Oui Monsieur

ورابنى جوابها هذا فسألت صاحبى عن السر فيه فأجابنى :

— سوف ترى الآن . . . لن أقول لك شيئا حتى ترى بنفسك كى لا أفسد عليك روعة المفاجأه . . .

ووصلنا إلى غايتنا .. ورجت لنا السائقة ليلة هانئة مرحة .. وشكرها صاحبي والتفت إلى يقول :

— بعض سائقي السيارات الأجرة هنا يستريحون فى آخر الليل ويحلون زوجاتهم محلهم فى قيادة سياراتهم .

وعلى باب الملهى لم أر سوى اسمه « بالنيون لايت » .. ولوحة صور لراقصاته وكلهن ليس عليهن من الملابس سوى ورقة التين .. ولم أر حاجبا أو بوابا وإنما رأيت رجل بوليس فى كامل زيه العسكرى.. وهممت أسأل صاحبي عنه فأجاب :

— إنه رجل بوليس خاص. . . يستخدمه الملهى لفض مشاكله دون تدخل من البوليس الرسمى . . . وأصله من هذا البوليس ، ولكن الملهى هو الذى يدفع له مرتبه .

واجتزنا الباب الخارجى إلى دهليز طويل ضيق ورأينا فى مواجهتنا باباً ما كدنا نصبح على بعد متر واحد منه حتى انفتح لنا من تلقاء نفسه أتوماتيكيا ورأينا وراءه ردهة صغيرة وقد وقف فيها شاب وسيم أنيق فى زى رعاة البقر .. وما إن اجتزت الباب متقدما صاحبي حتى تقدم إلى ذلك الشاب الوسيم ولطمنى بظهر يده على صدرى فى عنف وفى نفس الوقت مد قدمه إلى ساقى فجذبه جذبة أوقعتنى على ظهرى على الأرض وانفجر هو وصاحبي فى ضحك عال صاخب . . . وتحاملت على نفسى وقمت وأنا فى عنفوان غيظى مزمعا أن أرد الاعتداء بأوحش منه . . . وإذا بى أرى المعتدى على وقد خلع عن رأسه قبعته الكبيرة فكشف عن جدائل شعر أسود فاحم جميل ، وإذا به فتاة حسناء متنكرة فى زى وصورة رجل من رعاة البقر الأمريكيين ، ووجدت نفسى أعتذر إليها بدل أن أنتظر منها الاعتذار .. خمنت أننا جئنا نشهد حفلة تنكرية ..

وسألت الفتاة صاحبي ..

— لمَ لم ترتدوا ملابسكم ... ملابس السهرة ؟ !

وعجبت لهذا السؤال وعجبت أكثر لجواب صاحبي معتذراً بينما كنا نرتدي « الاسموكن » فعلا :

— نحن الليلة زائرون فقط .

وأمسكت الفتاة بكل منا من يده ودفعت بحذائها الثقيل الضخم باباً فى الصدر ... ودخلنا منه إلى صالة الملهى ... وأشارت الفتاة إلى حاجز دائر حول الصالة وقالت :

— ستجلسان خلف هذا الحاجز ، لأن قانون النادي يمنع الزائرين الغير مرتدين ملابس السهرة من الجلوس فى الصالة .

واعترضت قائلا وأنا أشير لملابسي :

— ولكننا نرتدي ملابس السهرة فعلا ؟

فضحكت الفتاة ضحكة عالية وقالت :

— ليست هذه ملابسنا ... صاحبك يعرفها . . .

وأرشدتنا إلى إحدى الموائد خلف الحاجز وتركتنا . . . ومن خلف هذا الحاجز سهرت أغرب سهرة فى حياتى . . التفت إلى الصالة وكنت لم أتبين ما بها عند أول دخولى لخفوت أضوائها وقتئذ إذ كان يرقص الراقصون « تانجو » هادىء ناعم .. فلما أضيئت الأنوار ورأيت كل شيء أمامى واضحاً ظاهراً كدت أصعق وأجن .. فلقد رأيت أمامى النساء فى ملابس الرجال والرجال فى ملابس النساء . . . رأيت النساء فى الاسموكن والفراك أو زى رعاة البقر الأمريكيين المعروف ، وقد عقصن شعرهن الجميل إلى الخلف ووضع بعضهن فى فمه سيجارا ضخما أو غليونا « Pipe » بينما ارتدى الرجال فساتين سهرة فخمة بالرغم من شوارب بعضهم ولحى البعض ، وتحفظ بعضهم فغطى صدره وظهره العارى بفراء بينما اندفع معظمهم واستهتر فترك صدره وظهره عاريا وقد برزت على صدره غابة من الشعر الكثيف القبيح . . . ولم أر فى فم واحد من الرجال المتأنثين هؤلاء سيجارة فقط اللبان «Chewing Gum» فى فم بعضهم .. ورأيت هؤلاء

يبدون من ضروب الخلاعة والإغراء والإغواء للسيدات المترجلات الجالسات معهم ما تعجز عنه حواء نفسها بجلال قدرها . . . بينما كانت أولئك السيدات المترجلات ترد عليهم فى منتهى الغلظ والجفاف ناصحات إياهم بالتزام الوقار والحياء .

ورأيت السيدات المترجلات يقمن بدور الرجل كأحسن ما يقوم به الرجال يدعون الرجال المتأنثين للرقص ويدفعن « عنهم » الحساب .. بل قامت واحدة منهن واشتبكت مع أخرى مسترجلة بالطبع مثلها فى معركة عنيفة دامية متهمة إياها بمغازلة رجلها المتأنث . . . وأفقت من دهشتى عند هذه المعركة الطاحنة لأسأل صاحبى :

— أهذه حفلة تنكرية ؟

— بل هذه تقاليد وقوانين هذا النادى العجيب الشاذ . . . يحيا فيه رواده ساعات هذه الحياة الشاذة العجيبة . . . الرجال فى موضع النساء والنساء فى موضع الرجال . . .

وهربنا من هذا النادى بعد أن تطورت المعركة واشتدت وامتدت الأيدى إلى الصحون والأكواب والموائد والكراسى .. وقال لى صاحبى :

— تعال أريك نوعا آخر من الشذوذ الفرنسى . سنذهب إلى حدائق بولونيا المشهورة ،

— فى هذا البرد . . . وفى مثل هذا الجو الممطر . .

— إن ما ستشاهده لا شأن له بالجو . . .

وذهبنا إلى تلك الحديقة التى تمتد فى قلب باريس ٨٤٠ فدانا والتى تعد رئة العاصمة الكبيرة . . كانت مضاءة الطرقات . . وبالرغم من الظلام القاتم الذى يشمل أحراشها وأشجارها الضخمة فإن جمهرة عشاق باريس لم تلتجىء إليها لتستر تباريح هواها بل اتخذت من صفوف المقاعد الطويلة الممتدة بامتداد الطرقات المضاءة مسارح لغرامهم الجارف العنيف . . . بالرغم من السيارات التى لا ينقطع مرورها وبالرغم من البوليس الراكب الموتوسيكلات الرائح والغادى

وبالرغم من البرد القارس وقطرات المطر المتساقط . . ولـكن الأحراش المظلمة لم تـكن مع هذا خالية . . . فقد رأيت فيها أسرابا من حيوان السنجاب تبرق أعينها وتضيء فراؤها فى الظلام .. وهذا الحيوان حيوان أليف تجده فى حدائق باريس يروح ويغدو حراً طليقاً ، وصيده محرم تحريم صيد طائر أبى فى مصر .

وخرجنا من الحديقة الـكبيرة التى لم يشعر أحد من أهلها بمجيئنا أو خروجنا منها خرجنا لنجول جولة سريعة بباقى أندية باريس الليلية ...

وعدنا إلى الفندق مع الصباح ... لنبدل ثيابنا ونبدأ عمل اليوم الجديد .. فى المدينة الـكبيرة التى يتصل ليلها بنهارها .

برج إيفـــل

إن الفرنسيين يقولون إن فكرة إنشاء ناطحات السحاب ليست أمريكية في أصلها ، وإنما هي فكرة فرنسية نشأت في رأس أحد المهندسين الفرنسيين العظام في سنة ١٨٨٧ عندما كانت فرنسا تستعد لإقامة أحد المعارض الدولية ، فقد تقدم « جوستاف إيفل » إلى وزير التجارة والصناعة حينذاك وعرض عليه مشروع بناء ذلك البرج الضخم الشاهق وثبته وسط أرض المعرض رمزاً على تفوق الصناعة الفرنسية وأثراً خالداً من آثار حضارة فرنسا .

واستهوت الحكومة الفرنسية الفكرة ووافقت على تنفيذها وعهدت إلى صاحبها بإخراجها إلى حيز التنفيذ ، فشرع « إيفل » على الفور في وضع تصميم البرج وتنفيذه بحيث يتم قبل افتتاح المعرض .

وتكلف تنفيذ هذا المشروع الضخم ٧٫٨٠٠٫٠٠٠ فرنك ، وارتفع البرج في ساحة المعرض الدولي ، وترامت شهرته إلى مختلف أنحاء الأرض وتسابق الناس من كل فج عميق إلى فرنسا ليشهدوا أعجوبة من أعاجيب الإنسان . وبلغ عدد زوار المعرض ١٩٫٦٩٨٫٢٨٧ كما ارتفع إيراده إلى ٥٩٫٩١٩٫٨٨٤ فرنكا ذهباً ، وأنعم رئيس الجمهورية الفرنسية على المهندس العظيم « جوستاف إيفل » بوسام اللجيون دونير تقديراً لهذه الخدمة الوطنية والإنسانية التي أداها لبلاده بإنشائه البرج الذي أصبح علماً عليها .

والفكرة في إنشاء برج إيفل أن يكون مرصداً عالياً يستطيع الناظر من أعلاه أن يحيط بصورة شاملة عامة لباريس مدينة النور . وهو يقوم على قاعدة مساحتها ١٢٠٠٠ متر مربع وأساسها تحت الأرض يبلغ عمقه ٣١٫٠٠٠ متر مربع . أما البرج نفسه فيتألف من ١٥٫٠٠٠ قطعة من الحديد الصلب تتماسك بعضها مع بعض بمسامير ضخمة يبلغ عددها ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ مسمار .

ويتألف برج إيفل من ثلاثة طوابق ويرتفع أولها إلى ١٨٧ قدما ، وثانيها إلى ٣٧٧ قدما ، وثالثها إلى ٩٨٤ قدما . وفى كل طابق منها أمكنة للرؤية وأدوات لتكبير المناظر ومحال للجلوس وتناول الطعام ومحال لبيع بعض مستلزمات الزوار كآلات التصوير والأفلام والنظارات المكبرة والصور المختلفة لمشاهد باريس الرائعة . والطابق الثالث هو أهم الطوابق لأن فيه شرفة دائرية تمكن الزائر من الإحاطة بمشهد المدينة العام خلال النظارات المكبرة . وفى هذا الطابق محطة للأرصاد الجوية ومحطة للاسلكى . والصعود إلى هذه الطوابق إما أن يكون بالسلم الذى تبلغ عدد درجاته ١٧٠٠ درجة وإما بالمصاعد الكهربائية التى تدفع عليها رسوم ضئيلة .

وأكثر زوار برج إيفل يزورونه للاستمتاع بمشاهدة باريس ورؤية منظرها العام بما يتخلله من مباهج فاتنة ، فأنت ترى من ذلك البرج نهر السين الذى يشق باريس ومن ورائه قصر شايو الذى عقدت فيه الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وترى باريس كلها فى مشهد عام « بانوراما » هو المتعة المثيرة التى يقصد زوار البرج إلى الاستمتاع بها ، ولكنهم يقصدون أيضاً إلى الاستمتاع برؤية البائعات الجميلات اللائى ينتشرن فى المحال المفتوحة فى طوابق البرج .

وبرج إيفل فى باريس كالهرم فى مصر ، يقصده السياح الأجانب وهم عادة يكثرون فى فصل الصيف ، ويزوره يومياً حوالى ١٠٫٠٠٠ زائر ، ويستغرق الصعود إلى أعلاه ثمانى دقائق ونصف دقيقة .

وعندما يبدى الزائر الأجنبى إعجابه بهندسة البرج وعظمته يهز الفرنسيون رؤوسهم أسفاً ويقولون لك :

— لقد كان عندنا تحف أعظم من هذا البرج . كان عندنا تماثيل من أروع القطع الفنية نحتاً وإبداعا فنياً . . ولكن من أسف ضاعت هذه التماثيل ، أو على الأصح ضيعها زبانية هتلر عندما اجتاحوا فرنسا وغزوا أراضيها فقد كانوا يحتاجون إلى الحديد والصلب فانتزعوا تلك التماثيل وصهروها واستخدموا

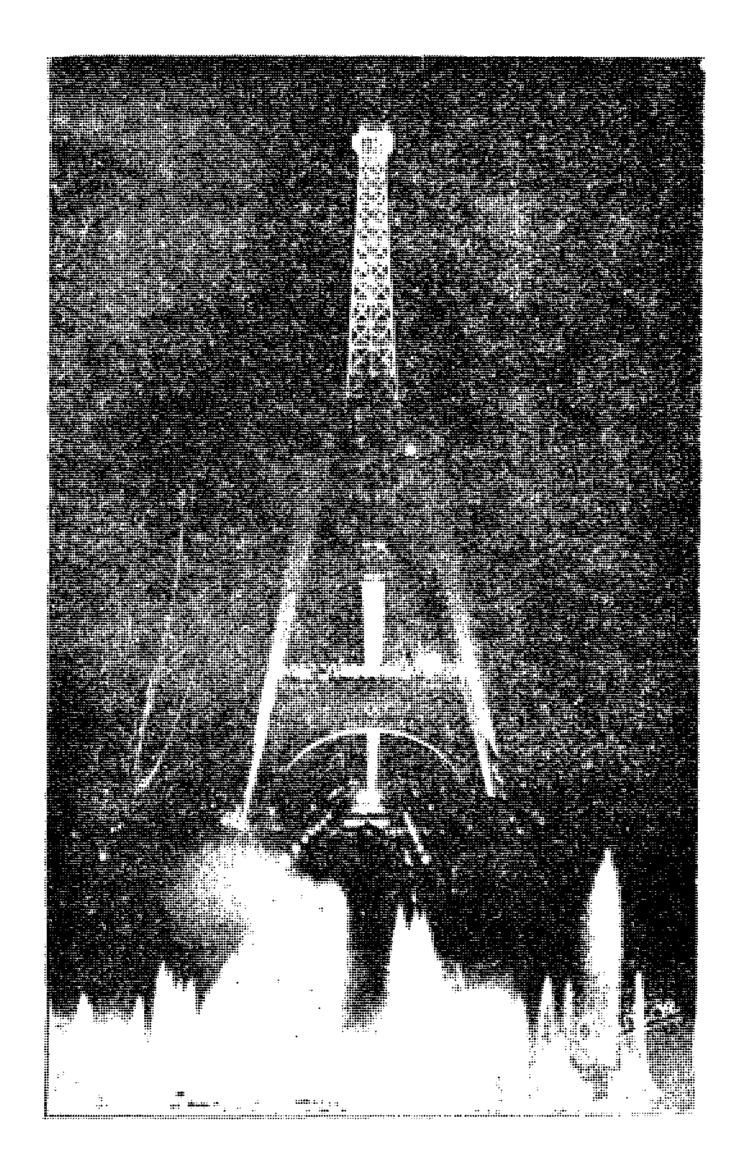
حديدها فى صنع المدافع والقنابل ولم يرعوا حرمة للفن ولا كرامة للتحف الأثرية التى خلدت عظماء فرنسا .

ولكن الفرنسيين لم يفتهم أن يدمغوا النازيين بوصمة فعلهم . . ففى بعض ميادين باريس تجد لافتات على قواعد التماثيل التى أطاح بها النازيون مكتوب عليها :

« ها هنا كان تمثال « فلان » . وقد اغتصبه جنود هتلر النازيون » .

وإذ يتحسر الفرنسيون على تماثيلهم الضائعة ويندبون حظ تلك التحف ، الرائعة يتعزون عنها ببرج إيفل الذى صاروا يرون فيه أعظم تحفة باقية لهم على الزمان ، ويقولون :

— كان من الممكن أن يلقى برج إيفل نفس المصير . . لولا أن هتلر رأى استبقاءه ليجعله مقر محطته اللاسلكية التى أنشأها فوق قمته ليذيع منها على العالم إذاعاته ضد الديمقراطية .



برج إيفل . . في الليل . .

الجريدة العربية الوحيدة فى أوروبا ...
يصدرها محكوم عليه بالإعدام ؟!

فى باريس جريدة تصدر باللغة العربية هى « جريدة العرب » .. وتعتبر الجريدة العربية الوحيدة التى تصدر فى أوروبا .. وتنعم هذه الجريدة بحرية الصحافة الفرنسية المطلقة فتقول للأعور فى عينه « ياأعور » ..

وصاحب العرب مغرم بمصر رغم أن موطنه العراق .. فما أن تهل على مكتبه بشارع فيفين فى حى الصحافة بباريس حتى تجد على الباب أسفل اللافتة التى تحمل اسم الجريدة لافتة مصلحة السياحة المصرية التى تدعو لزيارة مصر .. وتستقبلك امرأتان كل منهما ترحب بمقدمك وتنافس الأخرى فى الترحيب .. وتتبين أن الأولى « مدام مارلان » رئيسة قسم الحسابات والاشتراكات فى الجريدة وأن سر ترحيبها بك أنها تظنك عميلاً جاء يدفع ثمن إعلان نشرته الجريدة أو مشتركاً جاء يدفع اشتراكاً .. أما الأخرى فهى « مدموازيل مارسيل » سكرتيرة صاحب الجريدة .. وسر ترحيبها هو سر مهنتها .. وتترك غرفة الإدارة ... غرفة مدام مارلان ومدموازيل مارسيل إلى يسارك لتدخل غرفة التحرير حيث تجد محررى الجريدة الخمسة احمد عويدات والطيب وعبد الجبار وأديب مروة ومحمود الحماسى .. يكونون جامعة عربية كاملة .. ولا يبقى أمامك إلا غرفة التحرير هى مكتب صاحب الجريدة .. وتجده فيها غارقاً بين مئات الصور المعلقة إلى الجدران الأربعة من الأرض إلى السقف لأقطاب العالم العربى وقادته ..

وصاحب الجريدة محكوم عليه بالإعدام .. « يونس بحرى » أو « السائح العراقى » .. الرجل الذى كان يذيع باللغة العربية من راديو برلين طوال الحرب العالمية الثانية الأخيرة منددا بالحلفاء وداعياً ضدهم ومحرضاً البلاد العربية عليهم ..

فلما انتهت الحرب بهزيمة ألمانيا فر يونس بحرى من برلين إلى باريس .. وقبض عليه هناك مع من قبض عليهم ممن اعتبروا مجرمى حرب وأعدت العدة لمحاكمتهم .. وفى الوقت الذى كان يونس بحرى يترقب فيه الحكم بإعدامه دعوه لمقابلة « الجنرال دى جول » الذى سمع بأمره فأراد أن يستجوبه بنفسه ليظفر منه بكل شىء يفيد علمه به .. ووقف يونس بحرى أمام ديجول .. ووجه إليه الجنرال تهمة الخيانة العظمى .. ورأى يونس أن الخوف والضعف لن يفيدانه فأجاب الجنرال بثبات ورباطة جأش :

— أية خيانة عظمى يا سيدى الجنرال .. إن الخيانة العظمى فى تعريف القانون إرتكاب جريمة فى حق الوطن وأنا لم أرتكب جريمة ما فى حق وطنى ..

— لقد ارتكبتها فى حق الحلفاء .. حلفاء وطنك ..

— كيف يكون المستعمر حليفاً لمن يستعمره .. كيف يكون القط حليفاً للفأر .. لقد تصرفت كما يتصرف أى وطنى حر مخلص لقضية بلاده ..

وأعجب الجنرال دى جول بيونس بحرى .. وبإجاباته .. وأمر باطلاق سراحه وإباحة الإقامة له فى فرنسا .. واستقر يونس بحرى فى باريس وأصدر جريدته التى مضى على إصداره لها اليوم ستة أعوام ..

وأصل يونس بحرى من العراق .. من الموصل .. درس دراسته العليا ما بين تركيا وبغداد وفرنسا .. وبعد أن انتهى من دراسته قام برحلة حول العالم استغرقت عشرة سنوات من سنة ١٩٢١ إلى سنة ١٩٣٠ فلما عاد إلى بغداد أطلقت عليه صحفها اسم « السائح العراقى » .. وتولى وظائف حكومية عديدة فى بلاده حتى سنة ١٩٣٩ عندما قتل القنصل البريطانى فى الموصل واتهم يونس بحرى بقتله وقبل أن يقبض عليه تمكن من الفرار إلى برلين ، وصدر عليه الحكم بالإعدام غيابياً .

ولم ينته الأمر عند هذا الحكم .. ففي سنة ١٩٥٠ حكم عليه المجلس العرفي العسكري في بغداد بالسجن ثلاث سنوات بتهمة الهروب من الخدمة العسكرية ، فلما غضب لهذا الحكم ونفس عن غضبه بمقال كتبه في جريدة « العرب » اعتبر المجلس العسكري هذا المقال عيباً في ذات الوصي على العرش العراقي فحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات أخرى .

فى شارع المدارس ...

لاتستطيع أن تدعى أنك تعرف باريس إن لم تعش أياما ؛ أياما وليالى ؛ فى شارع المدارس فى قلب الحى اللاتينى . ولن تستطيع النفوذ إلى شارع المدارس إذا لم تستأذن من « مختار البخشونجى » عمدة الحى اللاتينى .

ومختار مصرى من « مهدية » فى مديرية الشرقية ، يعيش فى باريس منذ انتهت الحرب العالمية الأخيرة . ويدرس الآداب ، وقد أوشك على نيل دكتوراه الدولة . وقد نصبه الطلبة فى الحى اللاتينى عمدة لهم بحكم الوزن فهو يزن ١٥٠ كيلو جرام عدا السهو والغلط . ولقبه « البخشونجى » تركى معناه « الجناينى » ولكنه ينكر هذا المعنى ويقول أن « بخشونجى » من أسماء « سيدنا رضوان عليه السلام » حارس الجنة ويؤكد ذلك بأغلظ الأيمان قائلا :

— طيب بكرة تشوفوا ، لما نروح الجنة . .

ولعله واثق من أن أحداً لن يكذبه يوم الحشر لأن الطريق ؛ طريقه هو على الأقل ، سيكون « للجهة الثانية » .

وأهم وظائف « العمدة » الحجر على كل سفيه من طلبة الحى ، وفض المنازعات العاطفية كأحسن قاض غرام ؛ ثم مراقبة منافذ الحى حتى لايدخله غريب متطفل أبداً .

وأول مايصادفك فى « شارع المدارس » إذ تدخله من « بولفارسان ميشيل » مطعم ومقهى « ديبونت Dupont » .. وديبونت سلسلة محلات منتشرة فى أنحاء باريس للمشروبات ووجبات الطعام السريعة الخفيفة .. وترى هذا المحل يموج كخلية النحل بالطالبات والطلبة .. لا يصمت ولا يهدأ أبداً .. وتشهد فيه صوراً عجيبة نادرة .. فهذا الشاب العملاق جزائرى كان يدرس الطب فى جامعة باريس وكان من أبطال الملاكمة .. ثم اتهم بجريمة قتل لم تثبت إدانته

فيها .. ولكنه فصل من الجامعة .. وتشرد .. وتراه ينتقل من مائدة إلى مائدة فارضاً نفسه فرضاً على الطالبات والطلبة ليجد قوته .. وكلهم يرهبون قوته ويخشون بأسه .. وهذا شاب مرا كشى آخر منكر الصورة يروعك أن ترى الفتيات الطالبات ملتفات حوله متملقات متوددات .. وتستطلع سره فتعلم أنه مروض الأسود فى سيرك .. وتدرك مبعث إعجاب الوحوش الباريسية الجميلة الصغيرة به .. وهذا الطالب الأسبانى الجميل « رافائيل » الذى تراه يعزف على الجيتار ويغنى أغنيات حالمة ناعمة يسبح بها بالطالبات حوله .. إنه يتقاضى أجراً من المقهى على أغنياته هذه يدفعها لنفقات تعليمه فى السوربون .. وكثيراً ما تنشب معارك بين الفتيات بسببه سلاحها الأظافر وضحيتها الشعور الذهبية إذ يختلفن على طلب أغنية منه وتغار الواحدة من الأخرى التى يستجيب لرغبتها ويغنى لها الأغنية التى طلبتها ..

وتترك الديبونت فتجد إلى يمينك السوربون .. صرحا ضخما عظيما .. يليق بمكانة المعهد العتيد العالمى المكانة والشهرة .. وأمام السوربون ترى تمثالا « لمونتانى Montaigne » خالق الأدب الفرنسى وأول من ارتفع باللغة الفرنسية من منزلتها الدارجة إلى منزلة الأدب الرفيع ، وتقرأ على قاعدة التمثال العبارة الآتية المأثورة عن صاحبه :

Paris à mon coeur des mon enfance. Je ne suis Français que par cette grande cité, grande surtout et incomparable en varieté. La gloire de la France est l'un des plus nobles ornements du monde.

إن باريس تعيش فى قلبي منذ طفولتى . وأنا لست فرنسياً إلا من أجل هذه المدينة الكبيرة ، الكبيرة فى كل شىء ، والتى لا تقارن عموماً . وإن مجد فرنسا لمن أعظم وأنبل مفاخر العالم .

وتسير بضع خطوات فتلقى « الـكوليج دى فرانس Collège de France » حيث يجتمع علماء وأساتذة فرنسا الشيوخ ليلقوا محاضرات عامة مباح حضورها لمن يشاء من أى طبقـة ومن أى سن .. فتجد هناك العامل فى بدلته الزرقاء الساذجة الملوثة بمخلفات عمله إلى جانب الرجل الأنيق الغارق فى ردنجوت .

وإذ تتوغل فى شارع المدارس تصـل إلى مطعم وملهى شرقى « الـكوتبيا EL Koutoubia » محل مراكشى يحمل اسم مسجد معروف فى مراكش .. وتجد فيه الـكباب والـكسكسى .. وتسمع موسيقى تخت عربى وغناء مغنى مراكشى اسمه « ابراهيم » يقلد عبد الوهاب ؛ وتشهد رقص راقصة مراكشية أيضاً اسمها « بديعة » . . ولم ينقطع عبد الوهاب يوماً عن التردد على هذا المحل خـلال إقامته الأخيرة فى باريس .. لا من أجل إبراهيم أو بديعة .. بل من أجل « الـكسكسى » .. الذى يغرم به غرام أبى نواس بالخمر على حد تعبيره هو .. وقد سألته عن سر غرامه بالـكسكسى فأجابنى :

— بينى وبينك المسألة مسألة وفر .. أصل الـكسكسى فيه ميزتين .. إنه رخيص ويصد النفس .. وانت عارف أسعار الأكل شكلها إيه فى باريس .

وبعد الـكوتبيا تجد مطعما لبنانياً اسمه « أرز لبنان » صاحبه شاب لبنانى اسمه « فريد أبو جودة » .. كان يشتغل فى السلك السياسى اللبنانى فى مفوضية لبنان فى باريس .. ولما رأى رواج أصناف الأطعمة اللبنانية فى حفلات المفوضية اعتزل السلك السياسى وفتح مطعمه .. فتحه منذ ثلاثة أشهر .. ولـكنه لم يجد الرواج على موائده كما كان يشهده على موائد المفوضية اللبنانية .. ويقول :

— لا أمل لى فى الرواج إلا إذا قطعت العلاقات الدبلوماسية بين لبنان وفرنسا وأغلقت المفوضية اللبنانية أبوابها فى باريس .

وفى خاتمة مطافك بشارع المدارس تصل إلى « قهوة سلتيك Café Celtique » مقهى الطلبة المصريين .. فترى صاحبته « مدام مارينال » وجرسونه « بيير » الذى يحمل دكتوراه الدولة فى الفلسفة .. تجدها جالسين وسط جموع الطلبة المصريين يستمعون منهم إلى آخر أنباء القتال .. وكأنها أنباء باريس نفسها .. وتدرك تماما أن شارع المدارس فى باريس منطقة نفوذ مصرية إذ ترى حماس مدام مارينال وبيير لمصر ومستقبل مصر .

السيدة الأولى .. عصا الجولف

فى الحفلة التى أقامها أحمد بك ثروت سفير مصر فى باريس فى داره لتكريم المصريين الذين كانوا فى عاصمة فرنسا خلال دورة الجمعية العامة السادسة للأمم المتحدة الماضية ، كان كل شىء فى الدار ينم عن الذوق الرفيع ، فلم أتمالك أن هتفت محيياً ثروت بك :

— مدهش . . إن كل شىء هنا ينطق بعظمة السيدة الأولى فى السفارة المصرية .

وابتسم ثروت بك وسألنى :

— ألم تر السيدة الأولى فى السفارة المصرية بعد ؟ . . تعال بنا لأقدمك إليها .

وأخذ ثروت بك بيدى إلى غرفة مكتبه حيث قال وهو يشير إلى أحد أركانها :

— هذه هى . .

وفتحت فمى من الدهشة ، بينما استطرد ثروت بك يقول :

— هذه هى السيدة الأولى فى السفارة المصرية بباريس .. إنها عصا الجولف . هى شريكة حياتى ، فلست متزوجاً . . أما أسرتى فهى تلك الكتب التى تراها حولنا تملأ الغرفة . .

وتقدم ثروت بك إلى عصا الجولف وأمسك بها كما لو كان يتأهب للعب ثم قال لى :

— كم مأزق دبلوماسى أعانتنى هذه العصا على الخروج منه . . فإن الساسة لا يهمهم أن يخسروا معركة سياسية بقدر ما يهمهم ألا يخسروا معركة رياضية .

وعدنا إلى الصالون الكبير فى بيت السفير . . إنه يواجه دار السفارة فى « شارع يينا » المتفرع من ميدان الإتوال حيث قوس النصر الفرنسى المشهور ، فى أرقى أحياء باريس . والمبنيان كانا مسكناً خاصاً « للكونت ستانسلاس

دى لارشفوكو » ثم اشتراها سفيرنا السابق فى باريس « محمود فخرى باشا » منذ عشرين سنة .

واحمد بك ثروت هو أكبر أبناء المغفور له عبد الخالق ثروت باشا . وقد كان يعمل فى القضاء المختلط حتى عين سنة ١٩٤٦ فى منصبه الحالى ، فإذا هو يكسب بفضل عصا الجولف وبفضل قراءاته واتصالاته الأدبية صداقة ساسة فرنسا ومجتمعها بسرعة .

وفى أيام أزمة مراكش لمع ثروت بك عندما استدعى وزير خارجية مصر السفير الفرنسى فى مصر لمقابلته فامتنع ، واستدعى المسيو شومان وزير خارجية فرنسا سفيرنا ثروت بك فإذا هو يذهب إليه ويقول له :

— كان فى إمكانى أن أمتنع عن المجىء إليك كما امتنع سفيركم فى مصر عن الذهاب إلى وزير خارجيتنا ، ولكننى أعرف أن أول واجبات السفير توثيق العلاقات بين بلده والبلد الذى يعمل فيه ، وفيما فعله سفيركم بمصر إخلال صارخ بهذا الواجب .

وكانت صراحة ثروت بك سبباً فى حل هذه الأزمة ؛ فقد ذهب السفير الفرنسى فى مصر عقب هذه الزيارة مباشرة إلى وزير خارجيتنا معتذراً عن تخلفه فى المرة الأولى .

والرجل الثانى فى السفارة المصرية فى باريس هو « على بك شوقى » الوزير المفوض ، وهو النجل الأكبر لأمير الشعراء المغفور له أحمد شوقى بك . وهو يقرأ الشعر إلى درجة الادمان وإن كان لا يقوله . أما منافسه فى هذا الادمان فهو « الأستاذ عبد المجيد رمضان » المستشار بالسفارة ، وفى كل مساء يعقد الإثنان ندوة شعرية وأدبية يقول عنها على بك شوقى :

— بدل ما نلعب عشرة طاولة بنعمل الندوة .

وفى السفارة مستشار آخر هو « الأستاذ محمود محرم حماد » ... لقد عمل

فترة طويلة فى مكتب هيئة الأمم المتحدة فى مصر ، فلما ضاق بالعمل فيه طلب نقله للسلك السياسى المصرى كما كان قائلا :

ـ لقد سئمت الدوران فى دائرة النفاق الدولى . . . فأردت الخلاص لخدمة بلادى .

والقنصل العام « عبد اللطيف بك الحناوى » دائرة معارف عن فرنسا كلها لكل مصرى يسافر إلى باريس .. وقد سألته عن عنوان صديق فرنسى يعمل فى جريدة « الريفورم » فأعطانى عنوانه من الذاكرة . . . وتأخرت عن زيارة هذا الصديق أياما ، فلما اتصلت به تلفونياً بعد ذلك تبين لى أنه نقل من مسكنه وعدت إلى الحناوى بك فأعطانى عنوانه الجديد قائلا :

ـــ ده نقل فيه امبارح بس .

وأقدم موظفى السفارة هو « الأستاذ أرام اسطفان » سكرتير السفير ، فقد قضى فيها ٢٢ سنة متتابعة ، وهو دائرة معارف أيضا ولكن لأطباء فرنسا فقط .. وهو يعلل هذا بأن جميع أصدقائه المصريين الذين يزورون باريس إنما يأتون إليها مرضى للعلاج

أما أقدم مصرى فى السفارة فهو « حافظ يونس » حاجب الوزير وهو يشغل هذا المنصب منذ أنشئت السفارة فى سنة ١٩٤٩ أما عمره فهو ٧١ سنة . ويوم أنشئت السفارة كان فى باريس يشتغل بتجارة السجاجيد والمنسوجات الشرقية ، فلما عرفه فخرى باشا كانت تجارته قد بدأت تكسد فاستخدمه فى السفارة ليقيه شر البطالة .. ومن يومها لم يترك السفارة ساعة واحدة .

والمصرية الوحيدة فى السفارة هى « الآنسة علية فهمى » خريجة السوربون وهى تشتغل فى مكتب الصحافة ، ثم هى عنوان مشرف المرأة المصرية فى باريس سألتها صحفية فرنسية متهكمة فى إحدى حفلات هيئة الأمم :

— كم رجلا فى مصر متزوجاً بأربع زوجات ؟

فكان جوابها المفحم البارع :

— أستطيع إخبارك بهذا لو أخبرتنى أولا : كم ولداً غير شرعى فى باريس فقط ، لا فى فرنسا كلها؟ !

وفى السفارة تمثالان رائعان . . أحدهما من البازلت الأسود المنلك تحتمس الأول يتصدر مدخل السفارة . . والآخر تمثال حى للجمال الفرنسى وهى « آليس شورير » الموظفة بالمكتب الصحفى ! . .

وداع باريس . . .

وأنا فى الطائرة فى طريق عودتى من باريس لم أجد فى حقيبتى مجلة أو كتابا أقرأه سوى « دليل باريس » الكتاب الذى يشتريه الزائر لأى مدينة بمجرد أن يضع قدمه فى أرض مطارها أو مينائها . . وكنت لم أفتحه منذ اشتريته لأن باريس ليست فى حاجة إلى دليل أو كتاب لهداية زائرها فهى مفتوحة المسالك والأبواب باسطة ذراعيها دائماً لاستقبال ضيوفها . . وفى كل شارع وفى محطات المترو والأومينبوس لافتات ترشدك إلى بغيتك دون أن تحتاج لسؤال أو استفهام

وهكذا وجدت نفسى مضطراً إلى القراءة فى هذا الكتاب الصغير « دليل باريس » لأتلهى بالقراءة وقد مضيت فى رحلة العودة التى تستغرق ثمانية عشرة ساعة إذ كانت عودتى عن طريق تونس وبنغازى . . وبدأت أقرأ المقدمة :

« باريس عاصمة فرنسا أو مدينه النور كما يسميها العالم مدينة قائمة على ضفاف نهر السين وفوق ثلاثة جزر صغيرة تتوسط مجراها ، وعلى هذا النهر بداخل العاصمة الكبير ٣٠ قنطرة .

ويقسم السين باريس إلى قسمين : على الضفة الشرقية « الحى اللاتينى » بشوارعه الضيقة ومبانيه القديمة الذى يضم معاهد التعلم والفن وعدداً لا يحصى من الفنادق والمقاهى التى يؤمها الطلاب من مختلف جنسيات وشعوب العالم . . أما الضفة الغربية ففيها الشوارع الواسعة والميادين الضخمة المتناثرة على جانبيها المتاجر العظيمة والملاهى المتنوعة العالمية الشهيرة . وفى هذه الضفة أيضا غابة بولونيا الشهيرة .

وفى باريس مجموعة كبيرة من المتاحف والكنائس والمعاهد أعظمها « متحف اللوفر » . وأشهر كنائسها « نوتردام دى بارى » المبنية على الطراز القوطى منذ ثمانية قرون مضت . وفى « البانثيون » الذى بنى فى القرن الثامن

عشر يرقد رجال فرنسا العظام ومعهم نابليون . وفى ضواحى باريس قصر فرساى وقصر شاتليه بآثار وتحف وذكريات ملوك فرنسا فى عصورها الذهبية .

وجامعة باريس أشهر جامعات العالم . وشهرتها تقترن بأهم أقسامها « معهد السوربون » حيث تدرس الآداب و « الكوليج دى فرانس » حيث يلقى أساتذة فرنسا الكبار أعضاء الأكاديمية محاضرات عامة يحضرها من يشاء بلا قيد ولا شرط ليستفيد من علم أولئك الأساتذة النوابغ . وإلى جانب السوربون كلية الطب التى تخرج فيها أجيال من عباقرة أطباء العالم .

وقد وضع تخطيط باريس بحيث تكثر بها الميادين الكبرى التى تتفرع منها شوارع مستقيمة وتدور حولها حلقات من الطرق الكبرى التى يسمونها (بوليفار) ومعظم مبانى باريس الحالية أقيمت فى القرنين التاسع عشر والعشرين .

وقد عانت باريس شدائد جمة إبان الثورة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر . كما احتلها الألمان مرتين الأولى فى ١٨٧٠ والثانية فى عام ١٩٤٠ .

هذا ما قرأته فى مقدمة الكتاب الصغير . . ولم أجد فى نفسى احتمالا لمتابعة القراءة . . فقد كانت باقى الأبواب جافة المظهر . . مجرد دليل يسير عليه الزائر . لباريس . . وألقيت برأسى إلى ظهر المقعد وأغمضت عينى ورحت أستعرض أمامى أيامى فى باريس وذكريات كل يوم منها . . ومضى على وقت طويل وأنا أستعرض هذه الذكريات . . حتى أسلمتنى إلى النوم . . إنها ذكريات حافلة رائعة سأعيش عليهـــا وحتى يحين الحين الذى أبوح فيه بها ستظل داخل صدرى أجتر منها كلما اختنقت فى زحمة حيـــاتنا . وأرهقتنى متاعبها ، فأجلو صدأ نفسى .

إن باريس هى هذه الذكريات التى لا تموت أبداً ولا تحيا معها ذكريات أى بلد آخر . . . لقد زرت قبلها نيويورك وواشنطن وغيرها من مدن أمريكا العظيمة ولندن وروما وجنيف وباقى عواصم أوربا الكبرى وعشت فيها أوقاتا هانئة سعيدة . ولكنى لا أذكر عنها اليوم فى رأسى أكثر من آثارها القديمة

ومعالمها الحديثة . . أذكر الماديات الصرفة . . أما باريس فذكرياتها روحانية رقيقة مستقرة فى شغاف نفسى لا تبرحها . وباريس هى البلدة الوحيدة فى العالم التى تحزن وتأسى من أعماق قلبك على تركها ، ولا تستطيع أن تسيطر على عواطفك وتحبس دموعك وأنت تودعها خارجا منها فى أومنيبوس شركة الطيران التى تعود على طيـارتها إلى بلادك . لقد رأيت هذه الدموع فى أعين المسافرين معى . . وخلال الرحلة اختلطت ببعضهم وجرنا حديث السفر إلى تبادل الذكريات . . وكل منها يقدم صورة من صور الفتنة والسحر والروعة التى تأسر زائر باريس ما عاش .

فهذا الشاب المصرى المحطم المهدم حتى لتخاله يحمل كوارث العالم كله ونـكباته فوق كاهله .. إنه مصرى يشتغل بالتدريس فى إحدى الجامعات المصرية نابغة فى علم طبقات الأرض والحفائر . . وله اكتشافات عالمية فى مصر وخارج مصر .. أتم دراسته فى باريس .. سنوات طويلة قضاها هناك . . . حتى حصل على الدكتوراه مرتان .. وقدر له أساتذته الفرنسيين نبوغه فرشحوه رئيسا لبعثة فرنسية .. تجول بشواطىء إسكنديناوة لدراسة الحفائر هناك على حساب الحـكومة الفرنسية .. وكتب الشاب لجامعته المصرية يزف إليها النبأ العظيم المشرف لها ولمصر قبل أن يشرفه فجاءه الرد القاسى المذهل « لقد انتهيت من بعثتك وحالة العمل لا تسمح ببقائك أكثر فلتعد على أول طائرة إلى مصر » ولم يعد ، وعادو الطلب ، وأيده فيه أساتذته الفرنسيين ، ولـكن جامعته أصرت على الرفض وكتبت له آخر الأمر تنذره بالفصل .. نعم بالفصل .. إن لم يعد على أول طائرة .. وهكذا عاد معى على نفس الطائرة .. إنه لا يذكر قسوة جامعته وجحودها بقدر ما يذكر نور باريس الذى فتح عينيه على آفاق واسعة لا حدود لها من العلم وكرمه تـكريمه لأبناء فرنسا .

وهذا الشاب اللبنانى الوسيم الذى قضى الرحلة كلها سابحا حالما فى جو غير تلك الأجواء التى كنا نحلق فيها .. كان قد قصد باريس للعلاج من مرض عضاله

أعيا نطس أطباء وطنه .. وقضى أياماً فى العلاج هناك دون أن يتقدم .. وأخيراً كان يجلس ليلة فى ملهى شرقى بالحى اللاتينى .. وكان المغنى الجزائرى فى هذا الملهى ينشد أنشودة عبد الوهاب الخالدة « القمح » والجمهور يرد مقاطعها وراءه . . . الجمهور الفرنسى قبل الجمهور الشرقى فقد اكتسحت أنشودة عبد الوهاب أناشيد وأغانى باريس الحديثة .. وكان وحده مثقلا بهم مرضه عندما رأى شبحاً وراء زجاج باب الملهى يروح ويغدو . . ثم يدير أكرة الباب ويفتح فرجة فيه . . وكان باديا أنه شبح امرأة . . وأسرع صاحب الملهى يغلق الباب ويطرد هذا الشبح . . . وما إن شعرت صاحبته بمقدم صاحب الملهى حتى اختفت . . . اختفت دقائق وعادت من جديد تكرر ما فعلته فى أول مرة وذهب إليها مدير الملهى فى حدة وعنف هذه المرة .. ورأى صاحبنا اللبنانى نفسه يتحرك من مكانه ويسبق مدير الملهى ويقول له :

— اتركها . . إننى أنتظرها . . وعلى موعد معها ..

وخرج إلى صاحبة الشبح فإذا بها فتنة من ساحرات باريس وفى ربيع عمرها . . . وقبل أن تهرب أمسك بذراعها ودعاها للعشاء معه فى الملهى فأبت قائلة فى حياء عميق :

— لا تحسبنى كما تظن .

— إذن لماذا كنت تتلصصين على باب الملهى ؟ ! .

— لا شىء .. إلا لأنى أحب هذه الأنشودة المصرية وأعشق سماعها . . .

وقضى لحظات طويلة حتى أقنعها بقبول دعوته للعشاء بعد أن أفهمها ما قاله لصاحب الملهى وأنه لا يستطيع الدخول وحده لحرج موقفه على أساس ما فهمه صاحب الملهى منه ..

وعلى مائدة العشاء قصت عليه قصة تعشقها لأنشودة القمح . . . كانت هدية طالب مصرى لها أهداها اسطواناتها .. وكان يربطهما حب عظيم .. من ناحيتها هى فقد فاجأها يوما بأن انقطع عن رؤيتها . . وعلمت أنه رحل إلى مصر وتزوج

فتاة كان يخطبها من سنوات قبل مجيئه إلى باريس . . وعلمت أنه لن يعود فقد أتم دراسته .. ومع ذلك لم تكرهه بل تمنت له السعادة والتوفيق فقد كانت تعلم باستحالة زواجه منها . . لأنها . . لأنها كانت أما لطفلة مجهولة الأب . . وكل ما أحزنها أنه رحل دون أن يودعها بكلمة واحدة وحرصت على اسطوانة أنشودة القمح كتذكار حب عظيم . . . ولكنها انكسرت يوما كما انكسر ذلك الحب العظيم قبلها .. ولم يبق للمسكينة وسيلة لسماع أنشودتها الحبيبة إلا بالتلصص على أبواب الملاهى الشرقية التى تنشد فيها ، وما كانت لتستطيع دخولها والجلوس على موائدها لعجز مواردها فقد كانت تشتغل مدرسة أطفال فى مدرسة داخلية بأجر لا يكاد يكفى طعامها وطعام طفلتها .

وكان حب عظيم آخر بين حسناء باريس وفتى لبنان .. حب انتهى بشفائه من مرضه وكانت اسطوانة أنشودة القمح أعز هداياه لها خلال ذلك الحب الذى دام عامين طويلين .

وأخيراً اضطر الفتى إلى العودة إلى بلاده .. عاد هو الآخر دون أن يودعها مشفقا عليها من هذا الوداع .. ولكنه يحبها بكل جارحة من جوارحه ، وقد أقسم لى بأنه سيعود بأسرع وقت إليها .. وسيعود قبل أن تنكسر اسطوانة أنشودة القمح مرة ثانية .. وسيتزوجها فهو عارف بجميلها فى شفائه وراغب فى أن يرده إليها .

وهذا شيخ متصابى من سوريا . . كان معنا فى باريس يعمل فى هيئة الأمم المتحدة .. وكانت تصحبه زوجته كما يصحب القط الفأر . . . ومع ذلك استطاع الفأر أن يلعب .. وفى كل ليلة .. كان يعتذر لزوجته عن غيابه بانشغاله بأعمال اللجان فى الأمم المتحدة طول الليل حتى الصباح . . . بينما « يعقد لجانه » هذه فى كباريهات البيجال أو أندية مونمارتر ومونبارناس الليلية أو كهوف الحى اللاتينى أو مع حسان الشانزلزيه .

وهذا شرقى آخر . . فنان تونسى . . . فى النحت . . درس الفن فى منبعه

وفتحت له مدينة النور أبواب معارضها وقدمته فيها للعالم كله . . وها هو يعود إلى بلاده يحمل تماثيله . . . ويحمل معها المانيكان الذى صنع عليه هذه التماثيل زوجة له .. وأثراً باقيا على الزمن لباريس أمام عينيه .

وهذه راقصة يونانية من الاسكندرية . . . ذهبت إلى مدينة النور تطمع فى المجد والشهرة . . . فخاب رجاؤها ، إذ وجدت رقصاتها رقصات بدائية أمام رقصات الفولى برجير والكازينو دى بارى والتاباران .. ووجدت أن فن باريس فن غريزة يولد مع صاحبته أوصاحبه ولا يكتسب بتعليم . وهى غير آسفة أو نادمة ، فقد عاشت فى مدينة النور أياما صقلتها فيها بنورها واستشفت من روحها ورققت من وجدانها .

وهكذا استمعت إلى عشرات الصور من رفاق السفر .. ورأيت فى أعينهم جميعا نفس اللهفة على العودة إلى المدينة الساحرة التى منحتهم كل شى فى سخاء وإغداق .. ووجدتنى أردد قول « مونتانى » المنقوش على قاعدة تمثاله فى شارع المدارس بالحى اللاتينى :

« إن باريس تعيش فى قلبى منذ طفولتى ، وما اعتزازى بأنى فرنسى إلا من أجل هذه المدينة الكبيرة فى كل شى ، والتى لا تقارن بغيرها . »

فهرست